

سلسلة

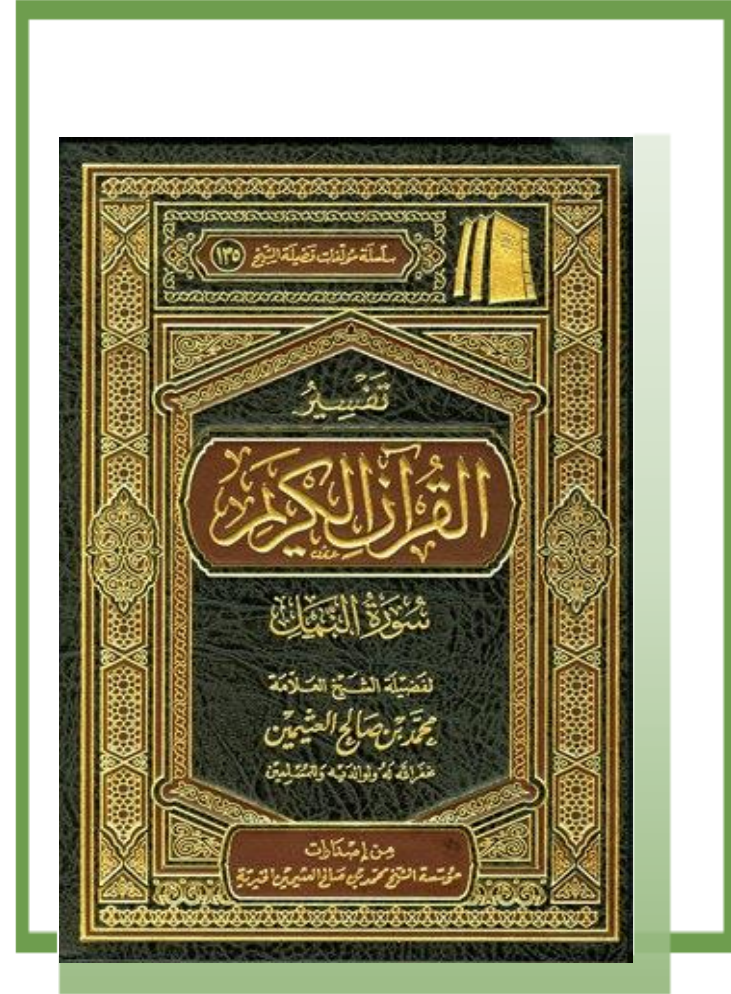
فوائد من تفسير القرآن العظيم

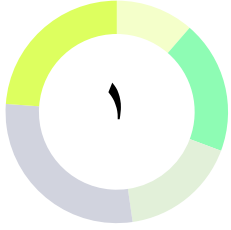
[سورة النمل]

مستقاة من كتاب (تفسير القرآن الكريم)
للشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين

ط / مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية

جمع واختيار
منى الشمري



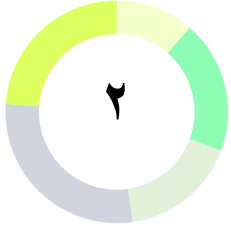


فوائد مستتبطة من تفسير سورة النمل

{طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين} النمل : ١

الصواب في المكي والمدني أن الفرق بينهما: ما نزل قبل الهجرة فهو مكي، وما نزل بعدها فهو مدني، وقيل: المكي ما نزل بمكة، والمدني ما نزل بالمدينة، وقيل: المكي ما فيه ذكر الأصول -أصول الإسلام أو الإيمان- والمدني ما فيه ذكر الفروع.

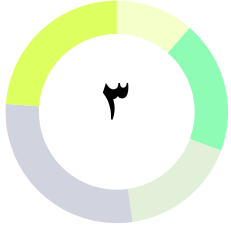
فعلى الأول يكون المعتبر الزمن، وعلى الثاني المعتبر المكان، وعلى الثالث المعتبر الموضوع، ولكن الذي عليه المحققون أن ما كان بعد الهجرة فهو مدني، وما قبلها فهو مكي



فوائد مستتبطة من تفسير سورة النمل

{طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين} النمل: ١

القرآن لا يخرج عن كونه قرآنا، وإن كتب، لقوله: {وكتاب مبين}، فهو كلام الله، سواء قرئ أو كتب، وذلك مفهوم من قوله: {آيات القرآن}، ولا يكون آية إلا إذا كان من كلام الله عز وجل.

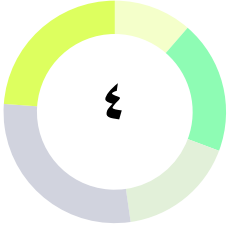


فوائد مستتبطة من تفسير سورة النمل

{هدى وبشرى للمؤمنين} النمل: ٢

أن القرآن هدى للناس، والمراد بالهداية هنا هداية الإرشاد،
كل الناس يسترشدون به لو شاءوا، يعني أن القرآن لا نقص في دلالاته،
لكن هداية التوفيق خاصة بالمؤمنين.

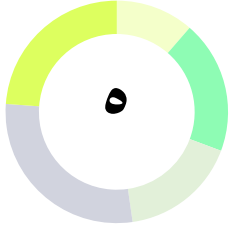
وأن القرآن بشرى للمؤمنين، بشرى في الدنيا بالنصر
وفي الآخرة بالجنة وبما أعد لهم من الثواب بالجنة، وبالعزة والكرامة والنصر.



فوائد مستنبطة من تفسير سورة النمل

{الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون} النمل: ٣

أن تضييع الصلاة والبخل بالزكاة ينافي الإيمان؛
لأن الله جعل من أوصاف المؤمنين إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة،
فمن لم يكن يقيم الصلاة ولم يؤت الزكاة فهو ناقص الإيمان،
وقد يكون معدوم الإيمان بالكلية كما في ترك الصلاة.



فوائد مستتبطة من تفسير سورة النمل

{الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون} النمل: ٣

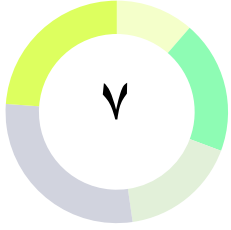
أن الإنسان إذا آمن بالشرائع المنزلة فهو كامل الإيمان، وإن لم يدرك الفرائض المتأخرة، فالذين ماتوا من الصحابة قبل فرض الصيام إسلامهم كامل، بل إن الرجل يمكن أن يؤمن ويموت قبل أن يصلي صلاة واحدة، ويكون بذلك كامل الإيمان. يعني إيمانه كامل وإن كان غيره الذي أدرك أكمل منه، لكنه هو بالنسبة إليه ما يقال: إيمانه ناقص -أي أنه ناقص نقصا يخل به -.



فوائد مستتبطة من تفسير سورة النمل

{إن الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم أعمالهم فهم يعمهون} النمل :٤

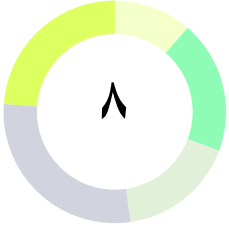
أن عدم الإيمان بالآخرة سبب للحيرة، لقوله: {فهم يعمهون}،
وعلى هذا فالإيمان بالآخرة سبب لليقين والنور، وهذا أيضا أمر مشاهد،
والإنسان ما يصاب بعدم اليقين إلا بسبب أعماله، ونقص إيمانه،
وكلما قوي الإيمان فإن معرفة الإنسان تزداد، حتى في الأمور غير العلمية الشرعية،
فيعطيه الله تبارك وتعالى فراسة يتبين بها الأشياء



فوائد مستنبطة من تفسير سورة النمل

{إن الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم أعمالهم فهم يعمهون} النمل: ٤

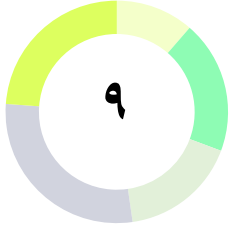
أن الرجل الذي يستحسن القبائح يمكن نستنتج أنه ضعيف الإيمان بالآخرة؛
لأنه لو قوي إيمانه بالآخرة ما حسن في نفسه قبائح الأعمال،
وهذه الآية تدل عليه.



{وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم} النمل: ٦

دائماً في القرآن تجد أن الحكيم مقرون بالعليم كثيراً،
ويقرن بالعزيز (عزيز حكيم) أيضاً، فما هي الحكمة من ذلك؟
الجواب البين أن نقول: إن الحكمة قد تخفى على بعض الناس، فخفاؤها علينا هنا لا يقتضي أنها ليست معلومة عند الله،
فكأنه جمع بينهما ليتبين أن هذه الحكمة معلومة عند الله، وإن خفيت علينا، فهو حكيم عليم يضع الأشياء في مواضعها، وإن
خفي علينا ذلك. فلا نقول: إنه إذا شرع الله شيئاً أو قضى بشيء فهذا ليس عن علم؛ بل هو عن علم، حتى لو فرض أننا نحن
لم نعلم حكمته ووجهه، فهذا هو وجه الجمع في القرآن الكريم في آيات كثيرة بين العلم والحكمة.

الخلاصة أن نقول: لما كانت الحكمة تخفى على العباد قرنها الله تعالى بالعلم ليطمئن المرء إلى أن هذه الحكمة معلومة عند
الله عز وجل، وإن كانت خافية علينا.



فوائد مستتبطة من تفسير سورة النمل

{وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم} النمل: ٦

إقناع الناس بما يقضيه الله تبارك وتعالى من قضاء قدري،
أو قضاء شرعي، وجه ذلك: أننا إذا علمنا أنه صادر عن حكمة فإننا نسلم ونرضى
ولا نقول: لم وكيف؟ فإن علمنا الحكمة فهذا من الله سبحانه وتعالى
وهو لا شك أنه يزيد في طمأنينة العبد،
وإذا لم نعلم فإننا نجزم أنه لحكمة.



فوائد مستتبطة من تفسير سورة النمل

{إذ قال موسى لأهله إني آنست نارا سأتيكم منها بخبر أو آتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون} النمل: ٧

في هذا دليل على أن الزوجة من الأهل، وهذا هو القول الصحيح. فعلى هذا آل النبي - صلى الله عليه وسلم - يدخل فيهم أزواجه، لأن الزوجة من الأهل.

وقد اختلف العلماء فيما إذ أوصى الإنسان لأهله أو أوقف لأهله، هل يدخل الزوجات في ذلك أم لا؟ والذين يقولون بعدم الدخول يردون ذلك إلى العرف، ويقولون: إن العرف عند الناس أن الزوجات ليسوا من الأهل، وإنما الأهل القرابة.

وإذا كان هكذا فإنه يقال: الزوجات من الأهل، فإذا أوقف الإنسان على أهل فلان، أو أوصى لهم، دخل فيهم الزوجات بمقتضى اللغة. ثم إن وجد عرف مضطرد ينافي ذلك رجعنا فيه إلى العرف، لأن الصحيح أن الأقوال ترد معانيها إلى أعراف الناس وعاداتهم، فإذا لم يوجد عرف رجعنا إلى الشرع أو اللغة، حسب ما يكون ذلك.



فوائد مستنبطة من تفسير سورة النمل

{إذ قال موسى لأهله إني آنست نارا سأتيكم منها بخبر أو آتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون} النمل: ٧

أن الأحوال البشرية تطراً حتى على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام،
فإن موسى في تلك الليلة كان قد ضل الطريق ولم يهتد إليه،
وقد أصابه البرد هو وأهله. والأنبياء والرسل لا يختلفون عن غيرهم إلا في الرسالة،
قال تعالى: {قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي} [فصلت: ٦]،
فالأول: المماثلة في البشرية، والثاني: الاختصاص بالوحي.



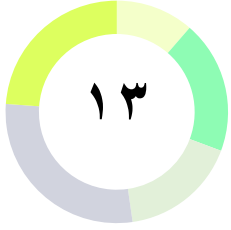
فوائد مستتبطة من تفسير سورة النمل

{إذ قال موسى لأهله إني آنست نارا سأتيكم منها بخبر أو آتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون} النمل: ٧

قبول خبر الثقة؛ لقوله: {سأتيكم منها بخبر} فالعمل بخبر الثقة هذا سائغ، وأما من ليس بثقة فقد قال الله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة} [الحجرات: ٦].

والناس في هذا المقام ثلاثة أقسام: قسم يوثق به، وقسم لا يوثق به، وقسم محتمل. الذي لا يوثق به لا يقبل، والموثوق به يقبل، والمجهول أو المحتمل يتوقف حتى يتبين أمره.

والكلام هنا على من يوثق به عامة أو خاصة، فقد يكون هذا الإنسان معلوم الحال عندي فأتق به، وهو عند الناس مجهول يتوقفون في أمره، فالثقة هو الذي تثق به.



فوائد مستتبطة من تفسير سورة النمل

{فلما جاءها نودي أن بورك من في النار ومن حولها وسبحان الله رب العالمين} النمل: ٨

ينبغي إيناس المستوحش، فينبغي أن تقول له أو تفعل معه ما يؤنسه ليطمئن، ويكون قابلاً لما يلقي إليه؛ لأن المستوحش لا يقبل ما يلقي إليه، بمعنى: أنه لا يتمكن من قبوله؛ لقوله: {نودي أن بورك من في النار} فإن إثبات البركة لمن في النار ومن حولها يزداد به طمأنينة بلا شك، ولهذا أول ما خاطبه الله في هذه الآية قال: {نودي أن بورك من في النار ومن حولها}



{فلما جاءها نودي أن بورك من في النار ومن حولها وسبحان الله رب العالمين} النمل: ٨

ثناء الله سبحانه وتعالى على نفسه، وأن ذلك من كماله؛ فإنه أتى على نفسه بقوله: {وسبحان الله رب العالمين} أتى على نفسه بنفي وإثبات؛ النفي: {سبحان الله} والإثبات: {رب العالمين}.

ومن هنا نعرف أنه لا يتم كمال الأوصاف إلا بهذين الأمرين، وهما: النفي والإثبات؛ لأن إثبات الكمالات فقط لا يدل على نفي النقائص، ونفي النقائص فقط لا يدل على إثبات الكمالات، وباجتماعهما يحصل الكمال المطلق، ولهذا قالوا: لا بد من تخلية وتحلية



فوائد مستنبطة من تفسير سورة النمل

{فلما جاءها نودي أن بورك من في النار ومن حولها وسبحان الله رب العالمين} النمل: ٨

أن أرض الشام مباركة؛
لقوله:
{ومن حولها}.



فوائد مستنبطة من تفسير سورة النمل

{يا موسى إنه أنا الله العزيز الحكيم} النمل: ٩

أن تعيين الشخص بالنداء له فائدة، وهي: التطمين والاياناس؛
لأنك إذا قلت: يا فلان طمأنته بلا شك؛
لأنه يقول: هذا يعرفني، ما ينالني بسوء،
ولهذا قال: {يا موسى}.



فوائد مستنبطة من تفسير سورة النمل

{يا موسى إنه أنا الله العزيز الحكيم} النمل: ٩

ابتدأ بالألوهية، فقال: {الله}، و (الله) تبارك وتعالى هو الاسم العلم على الله الذي لا يسمى به غيره، وجميع ما يأتي من أسماء الله دائماً تجده تبعاً لهذا الاسم، ودائماً تصدر أسماء الله بكلمة {الله}؛ لأنه العلم الذي لا يسمى به غيره، ثم تأتي الأسماء بعد ذلك تابعة له.



فوائد مستتبطة من تفسير سورة النمل

{وَأَلْقَ عَصَاكَ فَلَمَّا رآهَا تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب يا موسى لا تخف إني لا يخاف لدي المرسلون} النمل: ١٠

هذه الآية العظيمة دالة على كمال قدرة الله سبحانه وتعالى؛ لقوله: {فلما رآها تهتز}؛ لأنه أمر بإلقاء العصا فألقاها،

فبمجرد وصولها إلى الأرض صارت حية،

ولهذا في سورة طه {فألقاها فإذا هي حية تسعى} [طه: ٢٠]،

{إذا} فجائية تدل على مفاجأة الأمر ووقوعه على وجه الفورية.

ففيها دليل واضح على كمال قدرة الله سبحانه وتعالى، وأنه إذا قال للشيء: كن فإنه يكون.



فوائد مستنبطة من تفسير سورة النمل

{وَأَلْقَ عَصَاكَ فَلَمَّا رآهَا تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب يا موسى لا تخف إني لا يخاف لدي المرسلون} النمل: ١٠

حكمة الله تعالى في آيات الرسل، وأنها تناسب العصر، لقوله: {تهتز كأنها جان}؛ لأن هذا أشبه ما يكون بما تطور تطورا بالغا عندهم في ذلك الوقت وهو السحر، فلو أن أحدا أتى بعضا أمامك ووضعها في الأرض ثم رأيتها حية فإنك تقول: هذا سحر. فلذلك أوتي موسى - صلى الله عليه وسلم - من الآيات ما يقضي على سحرهم.



فوائد مستنبطة من تفسير سورة النمل

{وَأَلْقَ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌ وَلِيٌّ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدِيَ الْمُرْسَلُونَ} النمل: ١٠

أن هذه العصا لم تكن مجرد حيوان يتحرك، ولكنها أبلغ من ذلك {كأنها جان}،
ومعلوم أن الجان بنفسه مروع، فالحية بنفسها مروعة،
فإذا كانت من عظيم الحيات صارت أشد وأبلغ.



فوائد مستتبطة من تفسير سورة النمل

{وَأَلْقَ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌ وَلِيٌّ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدِيَ الْمُرْسَلُونَ} النمل: ١٠

جواز أن يعتري الأنبياء الخوف؛ لقوله تعالى: {ولى مدبرا}.
وأن ذلك لا يعد نقصا فيهم؛ لأنه من مقتضى الطبيعة البشرية،
وهذا الذي يكون من مقتضى الطبيعة البشرية لا يلام عليه أحد،
فالأنبياء يجوعون، ويعطشون، ويبردون، ويمرضون، ويموتون أيضا،
قال تعالى: {قل إنما أنا بشر مثلكم} [الكهف: ١١٠].



فوائد مستنبطة من تفسير سورة النمل

{وَأَلْقَ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌ وَلِيٌّ مُدْبِرٌ وَلَمْ يَعْقِبْ يَا مُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدِيَ الْمُرْسَلُونَ} النمل: ١٠

رحمة الله تبارك وتعالى بنبيه موسى؛ لقوله: {يا موسى لا تخف}
فإن هذا من رحمة الله به؛ لأنه إذا قال له: {لا تخف}
وقد علم أنه رب العالمين فلا يمكن أن يخاف.



فوائد مستتبطة من تفسير سورة النمل

{وَأَلْقَ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌ وَلِيٌّ مُدْبِرٌ وَلَمْ يَعْقِبْ يَا مُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدِيَ الْمُرْسَلُونَ} النمل: ١٠

في الآية دليل على أن من كان مع الله تعالى فإنه لا ينبغي أن يخاف،
لقوله سبحانه وتعالى: {إني لا يخاف لدي} أي: عندي {المرسلون}.
ولذلك كلما ذكر الإنسان ربه زال عنه الخوف،

قال تعالى: {يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون} [الأنفال: ٤٥]،
ففي ذكر الله تعالى زوال الخوف والقوة والرغبة في تنفيذ ما أمر الله تعالى به،
ولهذا أمر الله به في الجهاد.



فوائد مستنبطة من تفسير سورة النمل

{إلا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فإني غفور رحيم} النمل: ١١

في ذلك دليل على أن من ظلم ثم أتى بعمل صالح،
فإن الله تعالى يمحو العمل السيئ بالعمل الصالح؛
لقوله: {إلا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فإني غفور رحيم} [النمل: ١١].



فوائد مستتبطة من تفسير سورة النمل

{إلا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فإني غفور رحيم} النمل: ١١

أن أخذ الأحكام من مقتضى أسماء الله تعالى وصفاته.
فإن قوله: {فإني غفور رحيم} أي: أغفر له، وهذا حكم،
وأخذ الأحكام من مقتضى الأسماء والصفات هذا من أحسن ما يكون من الاستدلال.



فوائد مستنبطة من تفسير سورة النمل

{وأدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء في تسع آيات إلى فرعون وقومه إنهم كانوا قوما فاسقين} النمل: ١٢

حكمة الله سبحانه وتعالى في آيات الأنبياء، حيث تكون مناسبة للعصر الذي بعثوا فيه؛ لأن هذه الآية تشبه السحر، لكنها حقيقة، والسحر خيال. فالسحر لا يمكن أن يقلب اليد إلى بيضاء، أو المتحرك إلى ساكن، أو الساكن إلى متحرك، فلا يمكن أن يقلبه حقيقة، لكن هذه الآية حقيقة.



فوائد مستنبطة من تفسير سورة النمل

{وأدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء في تسع آيات إلى فرعون وقومه إنهم كانوا قوما فاسقين} النمل: ١٢

ينبغي الاحتراز في الكلام عندما يوهم الشيء لأمر يحترز منه؛
لقوله: {من غير سوء} فإن البيضاء قد تكون من سوء، ولكنه احترز بقوله: {من غير سوء}
ففي الآية دليل على مبدأ الاحتراز في الكلام.



فوائد مستتبطة من تفسير سورة النمل

{وأدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء في تسع آيات إلى فرعون وقومه إنهم كانوا قوما فاسقين} النمل: ١٢

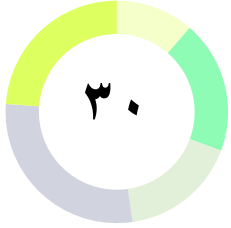
أن الفسق يطلق على الكفر، لقوله: {إنهم كانوا قوما فاسقين}
وأن الفسق نوعان: فسق مطلق ومطلق فسق،
فالفسق المطلق هو الكفر،
ومطلق الفسق هو العصيان من المؤمنين،
يعني معه مطلق فسق؛ إذ إن أصل الفسق هو الخروج عن الطاعة،
فإن كان خروجاً كاملاً شاملاً فهو فسق مطلق،
وإن كان بعض خروج فهو مطلق فسق.



فوائد مستتبطة من تفسير سورة النمل

{فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين} النمل: ١٣

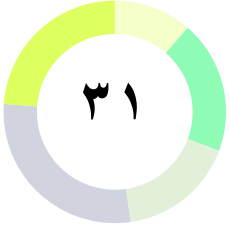
هذه الآيات هي بنفسها ظاهرة وواضحة،
والذي يراها يبصر بها. ولهذا نقول: {مبصرة}
يعني أنها باصرة بنفسها وموجدة للإبصار في غيرها.



فوائد مستتبطة من تفسير سورة النمل

{وجدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين} النمل: ١٤

أن جحد هؤلاء المرسل إليهم كان عن عناد، لا عن شبهة؛ لقوله: {واستيقنتها أنفسهم}، وهل هذا وقع لكفار قريش مع النبي عليه الصلاة والسلام؟ نعم وقع؛ لقوله تعالى: {قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون} [الأنعام: ٣٣]، ولا شك أن هذا واقع من الرؤساء والزعماء، لكن عامة الناس قد لا يكون لديهم هذا الأمر، وإنما هم مقلدون، أما الزعماء والكبراء فلا شك في هذا.



فوائد مستتبطة من تفسير سورة النمل

{وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين} النمل: ١٤

سوء أحوال آل فرعون؛ لقوله تعالى: {ظلما وعلوا}، {ظلما} لأنفسهم ولموسى، {وعلوا} ترفعا عن الحق.

وأن الاتصاف بهذين الوصفين يجعل الإنسان من الأمة الفرعونية، وهما: الظلم والعلو، وما من صفة يخرج بها العبد عن سواء

السبيل إلا وله فيها إمام من أهل الكفر،

ولهذا أخبر النبي عليه الصلاة والسلام أننا سنركب سنن من كان قبلنا

فما من خصلة يخرج بها العبد عن سواء السبيل إلا وله فيها إمام من أهل الكفر،

فالجحد بالحق للفاعل فيه إمام مثل فرعون وقومه،

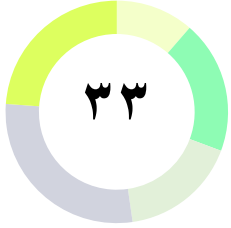
والحسد للإنسان فيه إمام مثل اليهود، والرياء للإنسان فيه إمام كالمنافقين، بل إنه من المنافقين، وهكذا.



فوائد مستتبطة من تفسير سورة النمل

{وجدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين} النمل: ١٤

ذم الترفع عن الحق؛ لقوله: {وعلوا} ولا فرق بين أن يكون ذلك عن حسن نية أو لا ، فهذه الطريقة مذمومة ولو عن حسن نية، وقولنا: (ولو عن حسن نية) ليدخل في ذلك بعض المقلدين الذين إذا عرض عليهم الدليل من الكتاب والسنة قالوا: نحن نتبع فلانا لا. له أعلم منك، هذا عن حسن نية فيما يبدو. وجه كونه عن حسن نية؛ لأنهم يرون أن هذا الإمام الذي اتبعوه أعلم منك ويقولون: نحن جهال ولا نعرف وليس لنا إلا أن نقلد وهذا الرجل أعلم منك.



فوائد مستتبطة من تفسير سورة النمل

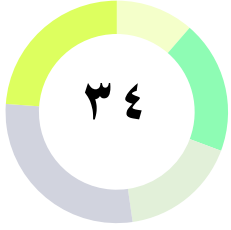
{وجدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين} النمل: ١٤

أنه ينبغي للإنسان أو يجب أن يتفكر ويتأمل في عواقب من سبق؛

لقوله: {فانظر كيف كان عاقبة المفسدين}

وهل الإنسان ينظر في عواقب المفسدين أو في عواقب المصلحين؟

ينظر في كليهما.



{وجدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين} النمل: ١٤

فيها دليل على فضيلة التأمل والتفكر في أخبار من مضى؛ وأن دراسة علم التاريخ من الأشياء التي جاء بها الشرع، فإننا لا يمكن أن ننظر كيف كان عاقبتهم إلا بدراسة أخبارهم وتتبعها، فعلم التاريخ إذن من الأمور المقصودة.

لكن هل من الأمور المقصودة ذاتيا أو عرضيا؟

عرضيا، إلا سيرة النبي عليه الصلاة والسلام وخلفائه الراشدين فإنها من الدين؛ لأنها كلها أحكام، بخلاف النظر في التاريخ لأجل الاعتبار فقط، فلكل مقام مقال؛ لأن النظر في التاريخ للاعتبار فقط قد يعتبر الإنسان بغيره فيستغني عنه، لكن النظر في سير النبي عليه الصلاة والسلام لأنها أحكام وفقه، وهذا مقصود لذاته، فلا يستغني الإنسان بغيرها عنها.



فوائد مستتبطة من تفسير سورة النمل

{ولقد آتينا داوود وسليمان علما وقالوا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين} النمل: ١٥

فضيلة العلم؛ لقوله تعالى: {ولقد آتينا داوود وسليمان علما}،
وهذا لا شك فيه، قال الله تعالى: {قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون} [الزمر: ٩]،

لكن يبقى النظر: ما هو العلم الممدوح؟ هل هو هذا الذي الناس الآن فيه في جدل؟!

المراد بالعلم الممدوح علم الشريعة، أما ما سوى علم الشريعة فإنه لا يمدح إلا حيث يوصل إلى أمر محمود



فوائد مستتبطة من تفسير سورة النمل

{ولقد آتينا داوود وسليمان علما وقالوا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين} النمل: ١٥

فضيلة داود وسليمان أيضا من جهة اعترافهما بنعمة الله وقيامهما بشكر نعمة الله؛
لقوله: {وقالا الحمد لله الذي فضلنا} لم يقولوا: إننا أوتينا هذا على علم منا، أو لأننا أذكيا أو ما أشبه ذلك،
قالا: {الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين}



{ولقد آتينا داوود وسليمان علما وقالوا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين} النمل: ١٥

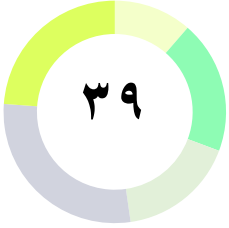
أن الشكر يكون بالقول كما هو أيضا بالفعل، فيكون بالقول وبالفعل، ويكون أيضا بالعقيدة، أي: بالاعتقاد، فالشكر له ثلاثة محلات: القلب واللسان والجوارح، قال الشاعر:
أفادتكم النعماء مني ثلاثة ... يدي ولساني والضمير المحجبا

والدليل على أن الشكر يكون في ثلاثة مواضع: في هذه الآية الشكر باللسان، وقال النبي - صلى الله عليه وسلم - وقد قيل له: كيف تفعل هذا - وكان يقوم حتى تتورم قدماه - وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك، فقال: "أفلا أحب أن أكون عبدا شكورا؟" فجعل الفعل شكرا لله سبحانه وتعالى، وقال تعالى: {اعملوا آل داوود شكرا} [سبأ: ١٣].
وأما الاعتراف بالنعمة بالقلب فهو من الشكر، والدليل قوله تعالى:
{وما بكم من نعمة فمن الله ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون} [النحل: ٥٣]

{ولقد آتينا داوود وسليمان علما وقالوا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين} النمل: ١٥

أن الإنسان إذا رأى أنه أفضل من غيره بنعمة الله عليه فإن هذا لا ينافي التواضع، يعني عندما تشعر أن الله أنعم عليك بالمال وفضلك على هذا، فهذا لا يعني أنك ترفعت وتكبرت، بل إنك لا يمكن أن تدرك نعمة الله عليك حتى تعرف ضدها في غيرك، فإذا رأيت مثلا إنسانا مبتلى في بدنه والله تعالى قد عافاك، عرفت فضل نعمة الله، تقول: الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاه به وفضلني عليه، وعندما ترى جاهلا وأنت قد من الله عليك بالعلم فإنك كذلك أيضا ترى فضل نعمة الله عليك بهذا العلم، ولا يعد هذا من باب الترفع والاستهانة بالغير، ولهذا قالوا: {الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين}.

وقد يتراءى للإنسان أنه إذا رأى فضله على غيره بما أنعم الله عليه أن ذلك أمر مذموم، وأنه يتضمن الترفع والاستهانة بالغير، وليس الأمر كذلك، لكن هذا حسب نية الإنسان، فشعوره بعلوه بما فضله الله به على غيره قد يكون علوا وقد يكون ازدراء، وقد ينظر إلى نعمة الله على غيره على وجه الحكمة، يقول: إن الله حكيم، ولولا أن هذا أهل ما أعطاه، ثم يسعى في تكميل الفضائل لينال ما نال، المهم أن هذه المسألة ترجع إلى النية.



فوائد مستتبطة من تفسير سورة النمل

{وورث سليمان داوود وقال يأيتها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء إن هذا لهو الفضل المبين} النمل: ١٦

أن من علم لغة غيره فله ميزة على غيره؛ لأنه تمدهم بقوله: {علمنا منطق الطير}.

إذن: تعلم اللغة غير العربية هو في الحقيقة من نعمة الله على العبد، لكن إن استعملها مكان اللغة العربية فإنه مخطئ، وكان عمر يضرب على ذلك وإن استعملها لمصلحة دينية فهذا له أجر في ذلك، كما لو استعملها في الدعوة إلى الله وتفهم الخلق الذين لا يفهمون اللغة العربية، فهي وسيلة.

المهم أنه لا شك أن الإنسان الذي يتعلم لغة غيره فله ميزة على غيره في هذا، ولكن كونه محموداً أو غير محمود يرجع إلى ما يتوصل به بهذه اللغة.



فوائد مستتبطة من تفسير سورة النمل

{وحشر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير فهم يوزعون} النمل: ١٧

أن الجنود الذين يستصحبهم سليمان ثلاثة أصناف،
وهم: الجن والإنس والطير، أما الإنس فاستصحابه لهم ظاهر؛ لأنه منهم،
وأما الجن فلاستخدامهم فيما لا يقدر عليه الإنسان،
وأما الطيور فقال بعض العلماء: إنها تصحبه لتظله، فتكون فوق رأسه ظلّة من الشمس،
وهذا قد يكون مقصودا، وقد يكون أيضا من مقصود استصحاب الطير أنها تأتيه بالأخبار البعيدة كما في قصة الهدهد.



فوائد مستتبطة من تفسير سورة النمل

{وحشر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير فهم يوزعون} النمل: ١٧

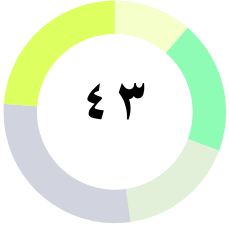
كمال التنظيم أيضا، لقوله: {فهم يوزعون}، لأن الوزع معناه: الجمع والسوق، قال تعالى: {ويوم يحشر أعداء الله إلى النار فهم يوزعون} [فصلت: ١٩]، يجمعون إليها ويساقون إليها. وهذا دليل أيضا على كمال تنظيمهم.



فوائد مستتبطة من تفسير سورة النمل

{وحشر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير فهم يوزعون} النمل: ١٧

جواز استعمال الساقة في الجند والجيش، بأن يكون لهم سائق كما أن لهم قائدا دليلا، وقد كان من هدي الرسول - صلى الله عليه وسلم - أنه يكون في الساقة في أخريات القوم مع أنه - صلى الله عليه وسلم - رئيسهم وزعيمهم، لكنه يتأخر لأجل أن يرفد من قصر ويعين من احتاج، ولل فوائد العظيمة التي تحصل بهذا.



فوائد مستتبطة من تفسير سورة النمل

{حتى إذا أتوا على واد النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون} النمل: ١٨

فصاحة هذه النملة ونصحها وذكاؤها؛ لأن الكلام الذي قالته يتضمن هذا كله، فهي من بلاغتها استعملت في كل مكان ما يناسبه: {ياأيها النمل} أتت بالياء لمناداة البعيد؛ لأن النمل ليس كله قريبا منها، بل بعضه بعيد وبعضه قريب، ومن كمال نصحتها: إرشادها إلى المخابئ والملاجئ؛ لقولها: {ادخلوا مساكنكم}.

ومن كمال ذكائها: أنها استعملت العبارات المثيرة المزعجة، في قولها: {لا يحطمنكم سليمان وجنوده}.

وأیضا من عدلها أنها قالت: {وهم لا يشعرون}.

فتضمن هذا الكلام أنواعا كثيرة من البلاغة والفصاحة والنصح والتحذير وغير ذلك



فوائد مستنبطة من تفسير سورة النمل

{فتبسم ضاحكا من قولها وقال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي
وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين} النمل: ١٩

فيه دليل على الاعتراف بنعمة الله وأنه ليس من الافتخار؛ لأن سليمان ذكر نعمة الله عليه،
لكنه لا يقصد بذلك الافتخار والعلو على غيره،
وقد قال الله تعالى للرسول - صلى الله عليه وسلم -: {وأما بنعمة ربك فحدث} [الضحى: ١١]،
لكن لا على سبيل الافتخار والعلو؛ لأنها حينئذ تنقلب إلى نقمة.



فوائد مستتبطة من تفسير سورة النمل

{فتبسم ضاحكا من قولها وقال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي
وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين} النمل: ١٩

إن نعمة الله على الوالدين نعمة على الولد؛ لقوله: {أنعمت علي وعلى والدي}،
ولا سيما نعمة الإسلام فإنها من أكبر النعم على الولد، فلو مات طفل وأبواه كافران لكان هذا الطفل في الدنيا في حكم
الكافرين، وفي الآخرة الله أعلم بحاله، ولو مات طفل بين أبوين مسلمين لكان هذا الطفل مسلما في الدنيا والآخرة،
وعلى هذا فنعمة الله على الوالدين ولا سيما في الدين نعمة على الولد،
وهذا هو وجه قوله: {أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي}.

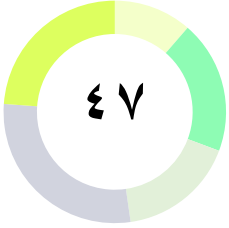


فوائد مستتبطة من تفسير سورة النمل

{فتبسم ضاحكا من قولها وقال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي
وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين} النمل: ١٩

أن من العقل والعدل والشرع إضافة المنة إلى الامان بها؛ لقوله: {أن أشكر نعمتك}،
وهذا اعتراف، وأبلغ من أن يقول الإنسان: أوزعني أن أشكر النعمة فقط؛
لأن قوله: {نعمتك} واضح جدا في خضوع هذا الإنسان بهذه النعمة العظيمة التي أنعم الله بها عليه،
فهذه فيها دليل أنه من العقل والعدل والشرع إضافة المنة إلى الامان بها، حتى ولو كان آدميا،
ومن الأشعار المعروفة عندهم

إنما يعرف الفضـ ... ل من الناس ذووه



فوائد مستتبطة من تفسير سورة النمل

{فتبسم ضاحكا من قولها وقال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي
وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين} النمل: ١٩

أن الإنسان لا يصل إلى غايته ومقصوده إلا برحمة الله في كل شيء؛
الجنة وغير الجنة؛ لقوله: {وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين} [النمل: ١٩]،
يعني: إذا لم يرحمك الله لن تتال شيئا أبدا.



فوائد مستتبطة من تفسير سورة النمل

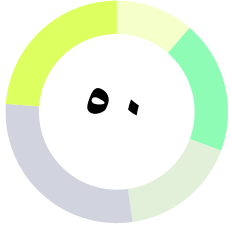
{فتبسم ضاحكا من قولها وقال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي
وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين} النمل: ١٩

أن العمل غير الصالح ليس فيه فائدة، بل هو دائر بين أمرين: إما الإثم، وإما السلامة فقط، فإن صدر عن علم فهو إثم، وإن صدر عن جهل فالإنسان سالم، ولكن لا فائدة له فيه، كما لو صلى الإنسان مثلا صلاة باطلة بحدث، فإنه إن تعمد ذلك كان آثما، وإن كان جاهلا لم تقده في إبراء الذمة، ويطلب بإعادتها، أما الأجر فقد يؤجر عليها من أجل النية والعمل الذي حصل والمشقة، ولكن من حيث الفائدة لا يستفيد منها في إبراء ذمته ولا تسقط عنه.



{فتبسم ضاحكا من قولها وقال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي
وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين} النمل: ١٩

أن الغاية التي يسير إليها الأنبياء ومن تبعهم هو رضا الله؛ لقوله: {وأن أعمل صالحا ترضاه}؛ لأن المقصود من عمل الإنسان الوصول إلى رضا الله سبحانه وتعالى، بل إن رضا الله غاية فوق كل شيء، قال الله سبحانه وتعالى في امتداح المؤمنين: {والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم (٧١)} وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر} [التوبة: ٧١ - ٧٢]، يعني أكبر من كل شيء، وإذا حل على الإنسان رضا الله فهذا غاية ما يريد.



فوائد مستتبطة من تفسير سورة النمل

{فمكث غير بعيد فقال أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبإ نبيا يقين} النمل: ٢٢

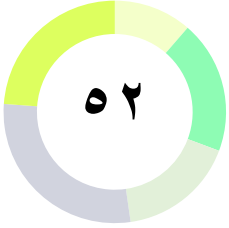
أن سليمان وإن كان قد أعطي ملكا عظيما لم يعطه أحد فإنه لا يحيط بكل شيء، فهو على سعة ملكه وقوته لا يحيط بكل شيء، فغيره من باب أولى.

وضعف إدراك الإنسان مهما بلغ من الملك ومن القوة، ويدل لهذا قول الله تعالى: {وخلق الإنسان ضعيفا} [النساء: ٢٨]، فإن هذا يبين ضعف الإنسان، فهو ضعيف في كل شيء؛ في القوى العقلية والقوى الجسمية وكل ما يمكن أن يوصف بالقوة والضعف، فإن حال الإنسان فيه الضعف.



{وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون} النمل: ٢٤

أن الخلق مفطورون على إنكار الشرك؛ لأن الهدد أنكر عليهم شركهم،
مع أن الهدد ليس من العقلاء، لكن جميع الحيوانات بل والمخلوقات غير الحيوانات مفطورة على توحيد الله عز وجل،
قال تعالى: {تسبح له السماوات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده} [الإسراء: ٤٤].

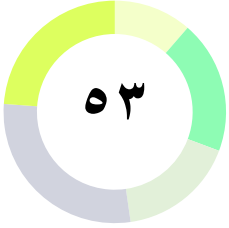


فوائد مستتبطة من تفسير سورة النمل

{وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون} النمل: ٢٤

أن الإنسان يذم على فعله أو يمدح على فعله؛ لأن الهدد ساق ذلك على سبيل الذم، والغرض من ذكر هذه الفائدة: الوصول إلى أن فعل الإنسان باختياره؛ إذ لو كان مجبرا عليه لم يصح أن يكون محلا للذم أو للمدح؛ لأن الذي يجبر على العمل لا يمدح عليه إن كان خيرا، ولا يذم عليه إن كان سوءا، ولكنه هو فعله.

ويتفرع على هذه الفائدة: إبطال قول الجبرية الذين يقولون: إن الإنسان مجبر على عمله؛ لأنه إذا كان مجبرا لم يكن أهلا للثناء في الخير أو في الشر.



فوائد مستتبطة من تفسير سورة النمل

{وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون} النمل: ٢٤

أن سبيل الله سبحانه وتعالى واحد؛ لقوله: {فصدهم عن السبيل} [النمل: ٢٤]، وسبل الشرع متعددة،
لقوله تعالى: {ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله} [الأنعام: ١٥٣]،
ولهذا قال العلماء: الإسلام ملة والكفر ملل، الكفر: يهودية، نصرانية، وثنية، مجوسية... إلى آخره،
ملل لأنها سبل متعددة، وأما الحق فسبيله واحد



{وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون} النمل: ٢٤

إذا زين للإنسان سوء عمله فصد بذلك عن السبيل -والعياذ بالله سبحانه وتعالى- فإنه لا يهتدي؛
لقوله: {فهم لا يهتدون} [النمل: ٢٤].

وهذا هو البلاء أن الإنسان يرى القبيح حسنا، فهذا لا يكاد يقلع، لكن من كان يرى القبيح قبيحا فإنه يمكنه أن يقلع، ولذلك تجدون الآن مثل هؤلاء الذين يتعاملون بالحيل: الحيل الربوية وغير الربوية ومن المحرمات، لا يكادون يقلعون عنها؛ لأنهم يرون أنهم على حق، ولذلك لا يقلعون، لكن من فعل القبيح وهو يعتقد قبيحا، فإنه يوشك أن يقلع عنه، ولهذا قال: {فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون} [النمل: ٢٤]



فوائد مستتبطة من تفسير سورة النمل

{ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السماوات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون} النمل: ٢٥

تحذير العبد من المخالفة علنا أو سرا، كيف ذلك؟ لأنك إذا علمت بهذا الأمر، بأن الله يعلم ما تخفي وما تعلن، يلزم من ذلك أن لا تخالفه، لا تقل: سأفعل هذا المحرم لأن الله لا يدري، أو سأترك هذا الواجب لأن الله لا يدري، بل الله سبحانه وتعالى يعلم، والإنسان لو علم أن المعظم عنده يعلم بأفعاله، لترك ما لا يرضيه، لو علمت مثلا أن أباك أو الرجل الذي تحترمه يعلم بما تفعل، فهل تفعل ما يخالف رضاه؟ لا تفعل، لا سيما إذا كان محبوبا لديك ومعظما، فإذا كان كذلك فالرب من باب أولى.

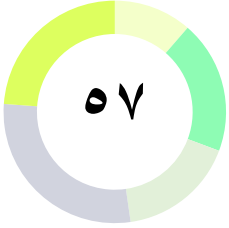
ولهذا ينبغي لك كلما دعتك نفسك إلى معصية، بل إلى مخالفة بترك أمر أو فعل نهى، يجب عليك أن تتذكر هذا الأمر، أن الله سبحانه وتعالى يعلم مخالفتك، فيلزم من هذا أن ترتدع



فوائد مستنبطة من تفسير سورة النمل

{الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم} النمل: ٢٦

إثبات عرش الله؛ لقوله: {رب العرش العظيم} [التوبة: ١٢٩]، والعرش هو أعلى المخلوقات، وهو غير الكرسي، وليس هو الملك كما قاله منكرو العلو، الذين يقولون: المراد بالعرش الملك، فتقولون: {استوى على العرش} [الأعراف: ٥٤]، أي: استولى على الملك، وهذا لا شك أنه ليس بصحيح، والعرش معروف عند العرب، وفي اللغة العربية: بأنه سرير الملك الخاص به.



{قال سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين} النمل: ٢٧

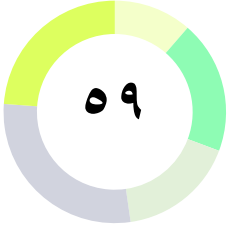
ينبغي التثبت في الخبر، لا سيما عند قيام الشبهات، وما هي الشبهة القائمة هنا؟ أن الهدهد قال ذلك مدافعة، وإن كان بعيدا؛ لأنه قال: {وجئتك من سبأ بنبا يقين} [النمل: ٢٢]، لكن لما كان هذا مقام دفاع، فإنه ينبغي أن يتثبت الإنسان أكثر؛ ولهذا قال: {سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين} [النمل: ٢٧]، مع أنه قال: {بنبا يقين} [النمل: ٢٢].

وهذا نظير ما وقع لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب مع أبي موسى الأشعري، حيث استأذن عليه ثلاثا وانصرف، فلما عاتبه بعد ذلك قال: هكذا أمرنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - . فقال: هات من يشهد لك. فشهد له محمد بن مسلمة، فمثل هذه الحال وإن كان الخبر متيقنا لكن لا مانع أن يتثبت الإنسان في ذلك.



{قال سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين} النمل: ٢٧

ينبغي للإنسان أن يكون لبقاً في تعبيره، حتى لغير الآدمي؛ لقوله: {أصدقت} [النمل: ٢٧]، فصارحه هنا بلفظ الصدق؛ لأن الصدق صفة محبوبة محمودة، وفي الكذب ما قال: (أن كذبت) بل قال: {أم كنت من الكاذبين} [النمل: ٢٧]، فتحاشى أن يصارحه بوصف الكذب، مع ما في ذلك بالنسبة للقرآن الكريم، في مراعاة الفواصل في قوله: {أم كنت من الكاذبين} [النمل: ٢٧]، لأن فيه مراعاة للفواصل.



{ اذهب بكتابي هذا فألقه إليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون } النمل: ٢٨

أن الحيوانات تعقل ما يوجه إليها من الأمر والنهي والاختبار والفحص؛
لقوله: { اذهب } [النمل: ٢٨] ، وقوله: { فألقه } [النمل: ٢٨] ، وقوله: { تول } [النمل: ٢٨] ، وقوله: { فانظر } ،
كل هذه أوامر للهدد؛ مما يدل على أن هذه الحيوانات تعقل،

ولكن ليس معنى قولنا: إنها تعقل أن تكون عاقلة لكل أحد ، صحيح أنها تعقل عقلا محدودا بالنسبة لعامة الناس ، ولهذا تزجر
البهيمة فتزجر وتدعوها فتقبل،

ولكن ليس هذا كمثل تسخيرها لسليمان عليه الصلاة والسلام؛
فإن تسخيرها لسليمان أنها تنزل منه منزلة الإنسان العاقل الفاهم ، من كل وجه.



فوائد مستتبطة من تفسير سورة النمل

{ اذهب بكتابي هذا فألقه إليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون } النمل: ٢٨

ينبغي تحسس الأخبار عند الحاجة لذلك، وهذا ما يسمى بالمتابعة؛ لقوله: {فانظر ماذا يرجعون} [النمل: ٢٨]، فإنه إذا تولى وجعل ينظر لا بد أن تبين له الأخبار؛ فلو أنه ما تولى عنهم فألقاه وبقي فقد لا يتكلمون بالأشياء التي يتكلمون بها إذا كان حاضرا لديهم، لكن إذا تولى عنهم فحينئذ وجدوا لأنفسهم مجالا للكلام حسب ما يريدون، وهذا من السياق.

فعندما تعمل عملا فلا بد أن تتحسس الأخبار، فلا تباشر هذا العمل مباشرة لأنه لا يأتي على المطلوب، ولا تعرض عنه إعراضا كاملا لأن معنى ذلك أنك ما تابعت ولا اهتمت بالأمر، فينبغي على الإنسان أنه كلما عمل عملا أن يكون متابعا له وأن يتحسس.



{قالت ياأيها الملأ إني ألقى إلي كتاب كريم} النمل: ٢٩

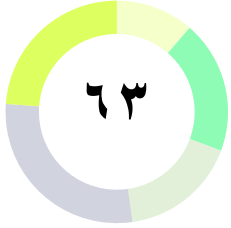
أن كرم كل شيء بحسبه، فالكرم بالمال معناه: بذله بسخاء، والكرم أيضا بالمال يطلق على الجيد منه، كما قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: "وإياك وكرائم أموالهم" وكذلك أيضا يوصف بالكرم ما يتضمن الشيء المهم؛ لما في هذا الوصف في كتاب سليمان - صلى الله عليه وسلم -.



فوائد مستتبطة من تفسير سورة النمل

{إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم (٣٠) ألا تعلوا علي وأتوني مسلمين} النمل : ٣٠-٣١

استعمال الإيجاز إذا لم يكن فيه تقصير؛ لأن هذا الكتاب الذي كتبه سليمان في غاية ما يكون من الإيجاز، جملتان فقط:
{ألا تعلوا علي وأتوني مسلمين} [النمل: ٣١]،
ولكن بشرط ألا يكون الإيجاز مخلًا بالمقصود،
فإن كان مخلًا بالمقصود صار تقصيرا.



فوائد مستنبطة من تفسير سورة النمل

{إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم (٣٠) ألا تغلوا علي وأتوني مسلمين} النمل: ٣٠-٣١

أن سليمان عليه الصلاة والسلام دعاهم إلى الله سبحانه وتعالى، ولا يريد التملك والسيطرة، وإنما يريد بذلك الدخول في الإسلام؛ لأن الهدهد لما أخبره أنها وقومها يسجدون للشمس من دون الله فهذا كفر، فلا بد أن يخرجوا منه إلى الإسلام؛ لقوله: {وأتوني مسلمين}.

وفيه أيضا دليل على قوة سليمان عليه الصلاة والسلام؛ لأنه لم يقل: وأسلموا، بل قال: (أتوني مسلمين) فطلب منهم أن يأتوا إليه وهم على الإسلام.
وهل المراد أن يأتوا جميعا؟
لا، المراد أعيانهم وأشرفهم؛ لأن الأعيان والأشرف يقومون مقام العامة.



{قالت يا أيها الملأ أفتوني في أمري ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون} النمل: ٣٢

استحباب المشاور في الأمور العامة؛ لقولها: {يا أيها الملأ أفتوني في أمري}
فهي مع أنها ملكة ولها تمام السلطة مع ذلك لم تستغن عن المشاورة.

وحزم هذه المرأة وأنها تريد أن تكون سياستها مبنية على أن المسؤولية على الجميع؛ لقولها:
{ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون}
وحيث لو حصل خلاف المقصود لم يكن عليها لوم، ما دامت تشهد هؤلاء وتبين لهم.



فوائد مستتبطة من تفسير سورة النمل

{قالوا نحن أولو قوة وأولو بأس شديد والأمر إليك فانظري ماذا تأمرين} النمل: ٣٣

مكانة المرأة من قومها؛ لأنها بعد أن استشارتهم وأبدوا رأيهم تأدبوا معها وقالوا: {والأمر إليك فانظري ماذا تأمرين}.

وأنه إذا قدم المستشار مشورته لإنسان أكبر منه قدرا أو فهما أو علما أن له أن يقول مثل هذا تأدبا، وصاحبه بالخيار؛ إن شاء أخذ بمشورته وإن شاء لم يأخذ.



فوائد مستتبطة من تفسير سورة النمل

{قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون} النمل: ٣٤

حزم هذه المرأة أيضا من جهة أنها نظرت في العواقب؛ لقولها: {إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها}، وهكذا ينبغي للعاقل ألا يحكم على الأمور ببوادرها وظواهرها، وإنما يحكم على الأمور بعواقبها، فإن الشيء قد تكون بوادره وظواهره مفيدة في نظر الإنسان،

ولكن عند التأمل يكون الأمر بالعكس، لكن هل الأولي المبادرة أو التآني؟

في الأصل التآني أولى؛ لأن الإنسان إذا تآنى لا يندم، ما فعل شيئاً، لكن إذا تسرع فهو الذي يكون عرضة للندم، وكم من كلمة قال الإنسان: ليتني لم أقلها، وكم من فعل قال: ليتني لم أفعله، ولكن مع هذا ينبغي استعمال الحزم في الأمور، لا يتآنى تآنيا يفيد المقصود ولا يتسرع تسرعاً يحصل به الندم



فوائد مستتبطة من تفسير سورة النمل

{وإني مرسله إليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون} النمل: ٣٥

العمل بالقرائن؛

لأنها أرادت أن توصل هذه الهدية لتختبر مراد سليمان هل يريد المال فقط فتكفيه هذه الهدية،
أو يريدهم أن يسلموا فلا تنفع فيه هذه الهدية،
ولا يكف عن طلبه الأول، وهو قوله: {ألا تعلوا علي وأتوني مسلمين} [النمل: ٣١]،
ففيها إذن ثلاث فوائد.



فوائد مستتبطة من تفسير سورة النمل

{وإني مرسله إليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون} النمل: ٣٥

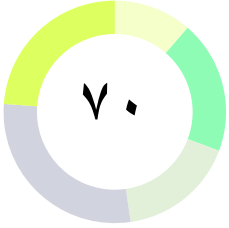
عظم هذه الهدية كمية وكيفية، ولذلك احتاجت إلى أن ترسل بها جماعة، فالهدية كانت كبيرة لقوله: {بم يرجع المرسلون} فقال: {المرسلون} ولا يرسل جماعة بهدية إلا وهي كبيرة. وأيضا ربما نقول: مع كبرها ثمينة" لأجل أن يدافع هؤلاء المرسلون عنها لو حاول أحد أن يعتدي عليها.



فوائد مستتبطة من تفسير سورة النمل

{ فلما جاء سليمان قال أتمدونن بمال فما آتاني الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون } النمل: ٣٦

فيه دليل على جواز الغلظة في القول إذا كانت المصلحة فيه؛ لأن هذا الأسلوب من سليمان - صلى الله عليه وسلم — أسلوب قوي؛ إذ إننا قلنا: إن الاستفهام في قوله: {أتمدونن} للتوبيخ والتعجيب، يعني أنه يوبخهم على فعلهم ويتعجب من فعلهم كيف يمدونه بمال وهو ملك ومعروف ومشهور.



فوائد مستتبطة من تفسير سورة النمل

{فلما جاء سليمان قال أتمدونن بمال فما آتاني الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون} النمل: ٣٦

يجوز للإنسان أن يتحدث بنعمة الله؛ لقوله - صلى الله عليه وسلم -: {فما آتاني الله خير مما آتاكم}، ولكن هل يتحدث بهذه النعمة على سبيل الافتخار أو على سبيل الافتقار والاستصغار؟

نرى أنه على حسب الحال، فمع العدو يجوز أن يتحدث بها افتخارا، ولذلك تجوز الخيلاء في الحرب، مع أن الخيلاء محرمة ومن الكبائر، لكن في الحرب لإغاضة العدو لا بأس بها.

فسليمان عليه الصلاة والسلام تحدث هنا بنعمة الله افتخارا -فيما يظهر لي- على هؤلاء القوم، وهذا لا بأس به إذا كان أمام العدو، فأما إذا كان لإظهار النعمة فإنه لا يجوز إلا على سبيل الاستصغار والافتقار إلى الله عز وجل، لا على سبيل الافتخار والعلو على الخلق.



{ارجع إليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون} النمل: ٣٧

إظهار القوة للأعداء؛ لقوله: {ارجع إليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها}، فنفي الكلام قوة، فهذا التهديد والوعيد لا شك أنه مظهر قوة، فيكون داخلا في قوله تعالى: {وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة} [الأنفال: ٦٠]، فإن قوله: {من قوة} نكرة تشمل كل ما يمكن من القوى، سواء كانت القوة قولية أو مادية أو معنوية، المهم أن جميع القوى في معاملة الأعداء ينبغي للمرء أن يستعملها، حتى إنه جاء في الحديث: "الحرب خدعة" لكن الخيانة -خيانة العدو- لا تجوز، فلا يجوز للإنسان أن يخون عدوه، ولهذا قال الله تعالى: {وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء} [الأنفال: ٥٨]، يعني: ولا تخنهم، وكذلك إذا خانوا فقد نقضوا العهد.



فوائد مستتبطة من تفسير سورة النمل

{ارجع إليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون} النمل: ٣٧

كثرة جنود سليمان؛ لقوله: {فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها} لأن هذه الملكة لها العرش العظيم وعندها القوم المطيعون الذليلون لأوامرها، يقول: {فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم}، ولم يبين هذه الجنود، لكنه مر في أول القصة أن جنوده ثلاثة أصناف: الجن والإنس والطير، هذه كلها يمكن أن يسلطها عليهم، إذا سلط الجن فلا قبل لهم بالجن، وإن سلط الطيور تنقب عيونهم أيضا فلا قبل لهم بها.

فالحاصل: أن الجنود التي لسليمان لا يمكن لهؤلاء أن يقابلوها لا كمية ولا كيفية.



فوائد مستتبطة من تفسير سورة النمل

{قال يا أيها الملأ أياكم يأتي بي بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين} النمل: ٣٨

يجوز للإنسان أمام عدوه أن يظهر العظمة؛ لأن سليمان أراد بإحضار هذا العرش إظهار عظمته وقدرته،
وأنه استطاع أن يأتي بعرشها المحصن بلا شك؛
لأنه كما جرت العادة قصور الملوك لا بد أن تكون محصنة وعليها حرس،
لا سيما مثل العرش



فوائد مستتبطة من تفسير سورة النمل

{قال عفريت من الجن أنا آتياك به قبل أن تقوم من مقامك وإني عليه لقوي أمين} النمل: ٣٩

قوة الجن؛ لأنه سوف يأتي بهذا العرش العظيم يحمله من سبأ من اليمن إلى الشام، وأيضا فيه دليل على سرعتهم، وهي من أوصاف القوة؛ لقوله: {قبل أن تقوم من مقامك} وهذه سرعة فائقة وعظيمة، ومعلوم أنهم عندهم سرعة عظيمة؛ بدليل أنهم يسترقون السمع من السماء، ولا يصل إلى السماء إلا كان من عنده سرعة هائلة عظيمة.



فوائد مستتبطة من تفسير سورة النمل

{قال عفريت من الجن أنا آتياك به قبل أن تقوم من مقامك وإني عليه لقوي أمين} النمل: ٣٩

أن مدار العمل على هذين الوصفين، وهما: القوة والأمانة؛ لقوله: {لقوي أمين} لأن من ليس بقوي لا يتقن العمل؛ لضعفه، ومن ليس بأمين لا يتقن العمل أيضا لخيانته، فقد يكون الإنسان قويا ويستطيع أن يعمل هذا العمل بكل سهولة ولكنه ليس بأمين، فلا يثق الإنسان به، ثم إن العمل لو أنه أتقنه يبقى الإنسان شاكا يقول: يمكن أنه يقدر أن يفعل أحسن من هذا لكنه ما فعل لأنه خائن.

وكذلك أيضا لو كان الإنسان آمينا لكنه عاجز فإنه لن يتقن العمل لعجزه



فوائد مستتبطة من تفسير سورة النمل

{قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيتك به قبل أن يرتد إليك طرفك فلما رآه مستقرا عنده
قال هذا من فضل ربي ليبلوني أشكر أم أكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم} النمل: ٤٠

أن جنود الله تعالى وهم الملائكة، أقوى من الجن؛ لأن ذاك قال: {قبل أن تقوم من مقامك}،
وهذا قال: {قبل أن يرتد إليك طرفك} فأيهما أسرع؟

الأخير بلا شك، ولا سواء؛ لأن الذي عنده علم من الكتاب عالم ولا وسيلة له إلا بالدعاء، والظاهر أنه رجل وليس من الجن؛
لأن قوله: {قال الذي عنده علم من الكتاب} مفصولة عن قوله: {قال عفریت من الجن}، والأصل أن الكلام مع الإنس، ولأن كل
قائل ليس من البشر لا بد أن ينوه عنه؛ لأن الأصل أن البشر هم الذين يتخاطبون، وهم الذين يتفاهمون، فإذا كان من غيرهم
نوه عنه مثلما نوه عن الجن.



فوائد مستتبطة من تفسير سورة النمل

{قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتياك به قبل أن يرتد إليك طرفك فلما رآه مستقرا عنده
قال هذا من فضل ربي ليبلوني أشكر أم أكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم} النمل: ٤٠

كمال قدرة الله عز وجل؛ لأن كون هذا العرش العظيم يأتي من اليمين إلى الشام في لحظة،
لا شك أنه من تمام قدرة الله التي لا يتصور الإنسان كيف تكون،
الآن هل يمكن أن نتصور كيف يجيء بهذا العرش من اليمين إلى الشام قبل أن يرتد للإنسان طرفه،
لو كان يطير طيرانا أشد من الدخان ما يتصور أنه يأتي بهذه السرعة، ولا نتصور أن الأرض طويت طيا حتى التقى هذا بهذا
أيضا، فقدره الله سبحانه وتعالى لا يمكن للإنسان أن يتصورها، فتأتي فوق التصور، وهكذا جميع صفات الله



فوائد مستتبطة من تفسير سورة النمل

{قال هذا من فضل ربي ليبلوني أشكر أم أكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم} النمل: ٤٠

التحدث بنعمة الله تعالى بإضافة النعمة إليه، لقوله: {هذا من فضل ربي} وهذا هو الواجب شرعا والمقتضى عقلا؛ لأن إضافة النعم إنما تكون إلى مسديها وموليها.



فوائد مستتبطة من تفسير سورة النمل

{فلما جاءت قيل أهكذا عرشك قالت كأنه هو وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين} النمل: ٤٢

التورية في الكلام، وهو أن يظهر الإنسان شيئاً غير ما يريد، فإن قولهم: {أهكذا} تورية؛ لأن حقيقة الأمر أن العرش الذي بين أيديهم هو عرشها، فكان مقتضى الاستفهام أن يقولوا: (أهذا عرشك؟) لكن أتوا بصيغة التورية لإبعاد الأمر؛ لأنه كونها عرشها قد تتسرع وتقول: لا؛ لأنها تستبعد أن يكون العرش قد حضر في هذه المدة وعليه الحرس وعليه المغاليق، فقيل لها: {أهكذا عرشك}



فوائد مستتبطة من تفسير سورة النمل

{وصدها ما كانت تعبد من دون الله إنها كانت من قوم كافرين} النمل: ٤٣

أن الإنسان لا بد أن يشغل نفسه، أو لا بد أن تكون النفس مشغولة إما بحق وإما بباطل، فهذه المرأة انشغلت بالباطل عن الحق، وقد قيل من الحكم: (إن لم تشغل نفسك بالحق شغلتك بالباطل). وقيل أيضا: (الوقت كالسيف، إن لم تقطعه قطعك)، وهذا صحيح. وفي الحديث الصحيح أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: "كلكم حارث وكلكم همام".
فلا بد للإنسان أن يهتم ويعمل، لكن إما بخير أو بغيره.



فوائد مستتبطة من تفسير سورة النمل

{وصدها ما كانت تعبد من دون الله إنها كانت من قوم كافرين} النمل: ٤٣

التحذير من مصاحبة الأشرار؛ لقوله: {إنها كانت من قوم كافرين} حتى لو كانوا من أقاربك فلا ينبغي أن تصاحبهم، وإذا كان لهم حق عليك بالقرابة فأعطهم حقهم الذي لهم، ولكن لا تكن مخالطاً لهم ومصاحباً لهم؛ لأن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال فيما يروى عنه، وهو حديث حسن: "المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالط" وهذا شيء واقع، يشهد له التاريخ السابق والحديث



فوائد مستتبطة من تفسير سورة النمل

{ قيل لها ادخلي الصرح فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها قال إنه صرح ممرد من قوارير
قالت رب إنني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين } النمل: ٤٤

عظمة ملك سليمان، وتسخير الله له، ففي ذلك الوقت حسب علمنا ليس هناك أفران تصهر الزجاج ليفعل به الإنسان كما يشاء، ولكن لا شك أن الزجاج موجود، قد يكون مستخرجا من البحر؛ تستخرجه الشياطين، وقد يكون هناك أيضا مصاهر وأفران حسب حالهم، ولهذا قال الله عن الشياطين: إنهم {يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات} [سبأ: ١٣]، {وجفان} هي جمع جفنة، وهي الصحفة، والجوابي جمع جابية، وهي البركة الكبيرة، {وقدور راسيات} يعني لا تتقل لكبرها وعظمتها.

فالحاصل أننا نقول: إن هذا فيه دليل على عظمة ملك سليمان، حيث سخر له الجن والإنس يعملون له ما يشاء.



فوائد مستتبطة من تفسير سورة النمل

{ قيل لها ادخلي الصرح فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها قال إنه صرح ممرد من قوارير
قالت رب إنني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين { النمل: ٤٤

أن المرأة من قديم الزمان شيمتها التستر؛ لأن قوله: {وكشفت عن ساقيها} دليل على أن الأصل أنها مستورة، وهو كذلك،
بخلاف الرجل فإن "أزرة المسلم إلى نصف الساق".

الآن أصبح الأمر بالعكس عند كثير من المسلمين مع الأسف، فأصبح الرجال ثيابهم مسبلة، والنساء ثيابهن قصيرة، وهذا
خلاف الفطرة التي فطر الله عليها الخلق.



{ قيل لها ادخلي الصرح فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها قال إنه صرح ممرد من قوارير
قالت رب إنني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين } النمل: ٤٤

أن الرؤية قد تكذب، وأن ما يدرك بالحواس ليس على الأمر الواقع مائة بالمئة؛ لقوله: {حسبته لجة}؛ فإن هذا كما هو الواقع صرح ممرد من قوارير، وتتنظر إليه نظر العين ومع ذلك تحسبه لجة، فدل هذا على أن ما يدرك بالحواس قد يقع فيه الخطأ، قد يرى الإنسان الشيء المتحرك ساكنا، والساكن متحركا، والأبيض أسود، والرجل امرأة، بل قد يتخيل له في بصره شيئا وليس له حقيقة.

وكذلك بالنسبة للسمع، وبهذا نعلم أن الشهادات وروايات الأخبار وغيرها كلها يمكن أن يقع فيها الخطأ، وليست معصومة مائة بالمئة، ولكن لا شك أنه كلما تواردت الأخبار وتكاثرت فإنه يدل على أن الأمر متأكد، ولكن نفي احتمال الخطأ مهما بلغ الرائي أو السامع من القوة والأمانة فإن الخطأ عرضة فيما رأى أو فيما سمع، بل في الملمس، فقد تلمس الشيء فتظنه لنا أو أملس وبالعكس



فوائد مستتبطة من تفسير سورة النمل

**{ قيل لها ادخلي الصرح فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها قال إنه صرح ممرد من قوارير
قالت رب إنني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين } النمل: ٤٤**

أن الله تبارك وتعالى قد يهب المرء ما يوجب له أن يسلم، بل قد ييسر له الأسباب التي توجب إسلامه بكل سهولة؛ لقولها:
{ قالت رب إنني ظلمت نفسي } هذه المرأة حسب القصة ما وجدنا أنها دعيت وأكد عليها وبين لها الخطأ إلا في قوله في أول
القصة: { ألا تعلوا علي وأتوني مسلمين } [النمل: ٣١]، لكن لما شاهدت ما شاهدت من عظمة ملك سليمان وقوته، عرفت أنه لا
بد أن تسلم، وهي تتذكر كتابه الذي قال فيه: { ألا تعلوا علي وأتوني مسلمين } فإما أن تسلم وإما أن يقضي عليها،
ولكنها أسلمت.

فهكذا إذا يسر الله تعالى للعبد ما به الهداية فإن الأمر يكون عليه يسيرا، وإذا لم يتيسر له أصبح كل مانع يمنعه من الاهتداء
وإن لم يكن مانعا قويا.



{ قيل لها ادخلي الصرح فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها قال إنه صرح ممرد من قوارير
قالت رب إنني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين } النمل: ٤٤

أن المعاصي ظلم للنفس؛ لقوله: {إنني ظلمت نفسي}، وسبق وجه ذلك وأن الإنسان مؤتمن على نفسه؛ مؤتمن على نفسه من حيث السلوك والسير، ومؤتمن على نفسه من حيث التصرف في ماله، ومؤتمن على نفسه من حيث التصرف في بدنه، ولهذا نهي عن إضاعة المال ونهي عن قتل النفس، قال تعالى: {ولا تقتلوا أنفسكم} [النساء: ٢٩]، وقال تعالى: {ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة} [البقرة: ١٩٥]، وأمر بالدواء: "تداووا ولا تداووا بالحرام"، وأمر بالأكل والشرب وباللباس وبالوقاية من الحر والوقاية من البرد، كل هذا من أجل حفظ النفس التي هي أمانة عندك، فالإنسان ليس حراً يتصرف كما يشاء في بدنه أو كما يشاء في سلوكه أو كما يشاء في ماله، لا، هو مقيد.



فوائد مستتبطة من تفسير سورة النمل

{ولقد أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحا أن اعبدوا الله فإذا هم فريقان يختصمون} النمل: ٤٥

أنه يصح إطلاق الأخوة النسبية بين المسلم والكافر، فلا يقال: إذا انتفت الأخوة الإيمانية انتفت الأخوة النسبية،

بل إذا انتفى أحدهما يبقى الآخر؛ لقوله: {أخاهم صالحا}.



فوائد مستتبطة من تفسير سورة النمل

{ولقد أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحا أن اعبدوا الله فإذا هم فريقان يختصمون} النمل: ٤٥

كل متصد للدعوة إلى الله فلا بد أن يجد خصوما؛ لأنه إذا كانت الدعوة في ابتدائها مع من جاء بها وهو الرسول - صلى الله عليه وسلم - تلاقى ذلك، فما بالك بانتهائها، وقوله تعالى: {وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين} [الفرقان: ٣١]، قد نتوسع في معناه ونقول: لكل نبي لا لشخص النبي، ولكن لدعوة النبي، بدليل أن النبي قبل أن يبعث لم يكن له عدو، والرسول - صلى الله عليه وسلم - كان يسمى الأمين عند قريش قبل أن يبعث، وكانوا يقدرونه ويعظمونه ويحبونه، وبعد أن بعث وصار نبيا قامت الحرب بينهم وبينه.

إذن: يمكن أن نقول: إن قول الله تعالى: {وكذلك جعلنا لكل نبي} [الفرقان: ٣١]، أي: من حيث الدعوة، وعلى هذا فما بقيت هذه الدعوة سوف يكون لها عدو من المجرمين.



فوائد مستتبطة من تفسير سورة النمل

{ولقد أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحا أن اعبدوا الله فإذا هم فريقان يختصمون} النمل: ٤٥

أن في هذه الآية أعظم تأييد للداعي إلى الله، حيث وصف الله خصومه بالإجرام،
فما دام الداعي معتقدا وواثقا من نفسه أنه على بصيرة فليبشر بالتأييد ولو بالعاقبة،
والله تبارك وتعالى لا يصلح عمل المجرمين



فوائد مستتبطة من تفسير سورة النمل

{قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون} النمل: ٤٦

الإنكار على من استعجل بالسيئة قبل الحسنة، والاستعجال على نوعين: أحدهما: استعجال بالقول، بأن يقولوا: {أئتتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين} [العنكبوت: ٢٩]، {اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء} [الأنفال: ٣٢]، واستعجال بالفعل والحال؛ بأن يسلكوا مسلكا يكون به العذاب، وذلك بالمعاصي؛ فإن المعصية استعجال بالعذاب بلا شك.



فوائد مستتبطة من تفسير سورة النمل

{قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون} النمل: ٤٦

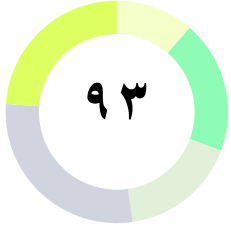
إثبات الحكمة لله تعالى؛ لقوله: {لعلكم ترحمون} فالرحمة لها سبب،
وكون الله تبارك وتعالى يقرن أفعاله بأسبابها يدل على كمال الحكمة؛
لأن من يفعل أفعالا عنجهية ليس لها أسباب فهذا سفيه،
لكن عليه أن يربط الأفعال بأسبابها.



فوائد مستتبطة من تفسير سورة النمل

{قالوا اطيرنا بك وبمن معك قال طائرکم عند الله بل أنتم قوم تفتنون} النمل: ٤٧

أن المصائب التي تصيب الإنسان إنما هي من الله تعالى؛ لقوله: {طائرکم عند الله}، ولا ينافي هذا قوله تعالى: {وما أصابکم من مصيبة فيما كسبت أيديکم} [الشورى: ٣٠]، ولا قوله: {ظهر الفساد في البر والبحر} [الروم: ٤١]؛ لأن نسبة هذه الأمور إلى الله نسبة خلق وإيجاد، ونسبتها إلى المخلوق نسبة تسبب، فهي تضاف إلى الناس إضافة الشيء إلى سببه، وتضاف إلى الله سبحانه وتعالى إضافة المخلوق إلى خالقه، وعلى هذا يزول إشكال كثير من الآيات التي ظاهرها التعارض في هذا الباب.



فوائد مستتبطة من تفسير سورة النمل

{قالوا اطيرنا بك وبمن معك قال طائرکم عند الله بل أنتم قوم تفتنون} النمل: ٤٧

ينبغي للإنسان في محاجة من حاجه أن يختار الأجوبة التي لا تؤدي إلى النزاع والجدال؛ لأنه إذا أدت إلى النزاع والجدال فقد يتغلب الباطل على الحق بسبب طول الجدل واللف والدوران، لكن يؤتى بشيء لا جدال فيه، وهذا من آداب المناظرة حتى عند الذين يتكلمون بهذه الأمور، فيرون أن من آداب المناظرة الأخذ بما لا يمكن الجدل فيه.



{قالوا اطيرنا بك وبمن معك قال طائرکم عند الله بل أنتم قوم تفتنون} النمل: ٤٧

أن الله تعالى قد يحدث من الأمور ما يكون سببا لافتتان بعض الناس؛ لقوله: {بل أنتم قوم تفتنون}، لأنه لما جاء صالح جاء الجذب، وهذا في الحقيقة فتنة لبعض الناس؛ إذ يقول بعض الناس مثلا: إن هذا من أسباب هذه الرسالة، فيكون سببا للفتنة، لولا عصمة الله تبارك وتعالى، وهذا دائما يكون في أفعال الله تعالى القدرية والشرعية، في الشرعية: قال تعالى: {يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد تتاله أيديكم ورماحكم ليعلم الله من يخافه بالغيب} [المائدة: ٩٤]، حرم الله الصيد على المحرمين، فبعث الله إلى الصحابة - رضي الله عنه - صيدا تتاله أيديهم ورماحهم يمسكه بيده بدون تعب وبرمحه بدون أن يحتاج إلى قوس {ليعلم الله من يخافه بالغيب} فخافوه بالغيب.



فوائد مستتبطة من تفسير سورة النمل

{وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون} النمل: ٤٨

فيه مبدأ العصابات، ولا يزال موجودا إلى الآن،
فإن هؤلاء {تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون}
وما زال الأمر إلى يومنا هذا وإلى ما بعد والله أعلم وأنه سيبقى؛
لأن أهل الشر لهم طرق يتقنون بها في فرض شرهم على غيرهم.



فوائد مستتبطة من تفسير سورة النمل

{وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون} النمل: ٤٨

يمكن أن يجتمع الفساد والصلاح، يعني أن الفساد والصلاح قد يجتمعان في شخص؛
لقوله: {يفسدون} {ولا يصلحون}،
ولولا أنه يمكن اجتماعهما لم يكن لقوله: {ولا يصلحون} فائدة؛
لأنه يكون عدم الصلاح مفهوما من إثبات الفساد، لو لم يمكن اجتماعهما.



فوائد مستتبطة من تفسير سورة النمل

{وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون} النمل: ٤٨

أن المعاصي من أسباب الفساد في الأرض؛ لقوله سبحانه وتعالى: {يفسدون}، وهؤلاء الجماعة ليسوا يهدمون البيوت ولا يفرقون الزروع ولا يحرقون المتاجر، لكنهم يفعلون ما يكون سببا للفساد؛ الفساد المعنوي، وهو فساد الأخلاق والسلوك، والفساد الحسي؛ لأن الفساد الحسي يتبع الفساد المعنوي.



فوائد مستتبطة من تفسير سورة النمل

{قالوا تقاسموا بالله لنبيته وأهله ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك أهله وإنا لصادقون} النمل: ٤٩

فيها دليل على مبدأ الاغتيالات؛ بمعنى أن الاغتيال موجود حتى في الزمن السابق، هذا المقصود، وليس معنى هذا أن هذا المبدأ مباح، بل المراد أن هذا موجود ولا زال موجودا، فغالبا الأمور من خير أو شر تجد لها أصلا في الأمم السابقيين؛ لقوله: {لنبيته وأهله}؛ لأن التبييت اغتيال، إذ إن الاغتيال معناه هو القتل على غرة.

ولهذا كان الصحيح من أقوال أهل العلم أن الغيلة ليس فيها خيار لأولياء الدم، وأنه يجب قتل المغتال بكل حال، حتى لو عفا، وهذا مذهب مالك واختيار شيخ الإسلام ابن تيمية



فوائد مستتبطة من تفسير سورة النمل

{قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه وأهله ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك أهله وإنا لصادقون} النمل: ٤٩

أن البينة على المدعي واليمين على من أنكر؛ لأنه لولا أن هذا القول يبرئهم ما صح أن يتفقوا على اتخاذه حجة؛ يقتلونه ويقولون: {ما شهدنا مهلك أهله}، فاتفقوا على هذا، دل هذا على أن الإنكار يبرأ به المدعى عليه، ووجهه: أنه لولا أن ذلك يبرئهم لم ينفعهم الاتفاق عليه؛ لأنه لو قالوا: ما شهدنا مهلكهم سيقال: أنتم القاتلون، فهذا أيضا دليل على أن البينة على المدعي واليمين على من أنكر



فوائد مستتبطة من تفسير سورة النمل

{ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون} النمل: ٥٠

وصف الله تعالى بالمكر، لكنه ليس على سبيل الإطلاق، بل على سبيل التقييد، فيقال مثلاً: هو ماكر بأعدائه أو بمن يستحق المكر، أو ما أشبه ذلك مما يجعل المكر صفة كمال؛ لأن المكر ليس بصفة كمال على الإطلاق ولا بصفة نقص على الإطلاق.



فوائد مستتبطة من تفسير سورة النمل

{ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون} النمل: ٥٠

أن الله سبحانه وتعالى قد يمكر بالعبد فلا يشعر بمكره، ومن مكر الله بالعبد وهو لا يشعر: استدراجه إياه بالنعم، حيث يسدي إليه النعم وهو يبارز الله تعالى بالعصيان، ومن مكره به تلبسه عليه في الحكم، فيلبس عليه الحكم حتى يظن الباطل حقا فيتمادي فيه، ولهذا من الدعاء المأثور: "اللهم أرني الحق حقا وارزقني اتباعه، وأرني الباطل باطلا وارزقني اجتنابه"

فالإنسان قد يكون لديه شبهة أو شهوة؛ شبهة لا يعرف الحق، أو شهوة لا يريد الحق ويريد غيره.



فوائد مستتبطة من تفسير سورة النمل

{فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم وقومهم أجمعين} النمل: ٥١

الحث على الاعتبار، لقوله: {فانظر} والنظر يكون بالقلب ويسمى نظر البصيرة، ويكون بالعين ويسمى نظر البصر، وكلاهما أمر مطلوب إذا أدى إلى مطلوب، وأما إذا لم يؤدي إلى مطلوب بل أدى إلى العكس مثل أن يعتبر ويتبصر ثم يتخذ من هذا النظر وسيلة إلى الطعن في حكمة الله سبحانه وتعالى، أو إلى وصف الله تعالى بالظلم أو ما أشبه ذلك مما يقع من بعض الملحدين، فإن هذا ضرره كبير والعياذ بالله، لكن الصواب من نظر ليعتبر، ومن نظر بعين العقل والعدل؛ لأنه لا بد من الأمرين: عقل وعدل، فبانتفاء العقل لا تحصل للإنسان المعرفة، وبانتفاء العدل يظلم.

فعلى كل حال: في هذه الآية دليل على أنه ينبغي للإنسان أن ينظر ويتأمل في الأمور، لا سيما في أمور المكذابين.



فوائد مستتبطة من تفسير سورة النمل

{فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم وقومهم أجمعين} النمل: ٥١

أن العقوبات إنما تأتي بأسباب المرء، حيث جعل هذا التدمير عاقبة مكرهم، وهذا يدل عليه أيضا قول الله تعالى: {ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون (٩٦)}

[الأعراف: ٩٦]، وقال سبحانه وتعالى في خصوص أهل الكتاب:

{ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولأدخلناهم جنات النعيم (٦٥)}

ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم} [المائدة: ٦٥ - ٦٦]، من فوقهم من الثمار الطويلة، ومن تحت أرجلهم من الزروع التي تحت الأرض.



فوائد مستتبطة من تفسير سورة النمل

{فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم وقومهم أجمعين} النمل: ٥١

أن العقوبة تعم؛ لقوله: {أنا دمرناهم وقومهم أجمعين} ولكن كما قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "يبعث الناس على أعمالهم"، فالعقوبة قد تعم ولكن يبعث الناس على أعمالهم، وهذا مشاهد، سواء كانت العقوبة من الله، يعني من فعل الله، أو من فعل العباد، فيسلط الله تعالى بعض عباده على بعض، فيدمر هذا المتسلط على الصالح والطالح، ولكن يبعث الناس يوم القيامة على أعمالهم ونياتهم، أو ينزل الله تعالى كارثة من عنده كالفيضانات والرياح وغيرها فتدمر الصالح والطالح، ويوم القيامة يبعثون على نياتهم.

وإنما كان كذلك - والحكمة عند الله سبحانه وتعالى - لأجل أن يستقيم الناس على أمر الله؛ لأنني أنا إذا علمت أن المصيبة ستعم سأسعى في إزالة السيئة الموجبة للعقوبة،



فوائد مستتبطة من تفسير سورة النمل

{فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا إن في ذلك لآية لقوم يعلمون} النمل: ٥٢

أن التبيين بعد الإجمال؛ لقوله: {خاوية} لأن التبيين بعد الإجمال أوقع في النفس، فالشيء إذا جاء مجملا تتشوف النفس إلى بيانه ومعرفته، فإذا جاء إليها مبينا بعد الإبهام صادف أرضا يابسة تشرب الماء، لكن إذا بين من الأول مرمر الكرام، وهذا دائما تجدونه في القرآن، قال تعالى: {وقضينا إليه ذلك الأمر} [الحجر: ٦٦]، ما هو ذلك الأمر؟ {أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين} [الحجر: ٦٦]. عندما تقف عند قوله: {وقضينا إليه ذلك الأمر} تجد قوله: (الأمر) ب (أل) ما هذا الأمر؟ ثم يأتي قوله: {أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين} فيتبين لك وقع هذا البيان بعد الإبهام.



فوائد مستتبطة من تفسير سورة النمل

{وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون} النمل: ٥٣

أن الإيمان والتقوى من أسباب النجاة؛ لأن قوله: {وأنجينا الذين آمنوا}
حكم معلق بوصف،
والحكم إذا علق بوصف دل ذلك على عليية هذا الوصف وتأثيره في الحكم.



فوائد مستتبطة من تفسير سورة النمل

{ولوطا إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون} النمل: ٥٤

بيان عظم اللواط وقبحه وأنه في قمم الفواحش؛ لقوله تعالى: {أتأتون الفاحشة}.

ووجوب الإنكار على من أتى بهذه الفاحشة؛ لقوله تعالى: {أتأتون}
لأن الهمزة هنا للاستفهام والتوبيخ، ولا شك أنه ينكر عليه، لكن بماذا يعاقب؟

في شريعتنا يعاقب بالقتل مطلقا، سواء كان محصنا أم غير محصن، وهذا هو ما دل عليه الحديث الذي في السنن وصححه الحاكم وغيره من قول الرسول - صلى الله عليه وسلم -: "من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به" ، وهو الذي أجمع عليه الصحابة كما حكاه عنهم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله



فوائد مستتبطة من تفسير سورة النمل

{ولوطا إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون} النمل: ٥٤

أن الفواحش تقبح بحسب ما يقترن بها؛ لقوله: {وأنتم تبصرون} فإن هذه الفاحشة منكرة، ولكنها إذا كانت علنا وجهرا يظهر الناس بعضهم أمام بعض فيها صارت أقبح وأعظم، ولهذا أتى بالجملة الحالية في قوله: {وأنتم تبصرون}.



فوائد مستتبطة من تفسير سورة النمل

{أننكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم تجهلون} النمل: ٥٥

أن هذه الشهوة إنما تصدر عن جهل، لا بمقتضى الطبيعة،
وإنما هي عن سفه في الإنسان؛ لقوله: {بل أنتم قوم تجهلون}
كأنه قال: إتيانكم إياهم شهوة ليس له محل،
ولكن الذي أوجب ذلك لكم أنكم قوم ذوو جهل، أي: سفه.



فوائد مستتبطة من تفسير سورة النمل

{فأنجيناه وأهله إلا امرأته قدرناها من الغابرين} النمل: ٥٧

بيان سبق التقدير للحوادث، وأن تقدير الله تعالى سابق على أفعاله،
لقوله: {قدرناها}، لأن معنى {قدرناها}
أي: جعلناها بتقديرنا السابق.



فوائد مستتبطة من تفسير سورة النمل

{فأنجيناه وأهله إلا امرأته قدرناها من الغابرين} النمل: ٥٧

أن المرء يعذر بما لا يعلم، فإن لوطاً كان لا يعلم عن امرأته شيئاً أنها كافرة،
والدليل على أنه لا يعلم قوله تعالى في سورة التحريم:
{ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرات نوح وامرات لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما} [التحريم: ١٠]،
وإلا ما كان لنبي أن يبقى تحته امرأة كافرة، إلا أنه إذا كان لا يعلم فهو معذور.



{فأنجيناه وأهله إلا امرأته قدرناها من الغابرين} النمل: ٥٧

أنه لا ينجي من عذاب الله الاتصال بأهل الصلاح، فلا يقول الإنسان مثلاً:
أنا أخي صالح أو ولي أو ما أشبه ذلك، فهو يعصمني من عذاب الله، فهذه امرأة لوط لم ينفعها أنها امرأة نبي،
ولهذا قال الله تعالى: {فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً} [التحريم: ١٠].

ونوح عليه الصلاة والسلام له ابن كافر قال: إنه من أهلي، فقال الله تعالى:
{إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح} [هود: ٤٦]،
والنبي عليه الصلاة والسلام قال لابنته فاطمة: "يا فاطمة بنت محمد، لا أغني عنك من الله شيئاً"



فوائد مستتبطة من تفسير سورة النمل

{وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين} النمل: ٥٨

أن الله سبحانه وتعالى يعذب كل إنسان بذنبيه، كما قال الله تعالى: {فكلا أخذنا بذنبه} [العنكبوت: ٤٠]، فمنهم من فعلنا به كذا ومنهم من فعلنا به كذا، فهنا يقول: {وأمطرنا عليهم مطرا}، ووجه مناسبة العقوبة للجريمة أن هذا المطر جعل عالي بلادهم سافلها، كما أن أولئك سفلوا بأخلاقهم حتى كانوا يستعملون هذه الفاحشة ويذرون ما خلق لهم ربهم من أزواجهم، وهذا بلا شك انقلاب في فطرهم، ولذلك عوقبوا بهذه الجريمة والعياذ بالله



{قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى الله خير أما يشركون} النمل: ٥٩

وجوب حمد الله؛ لقوله: {قل} والأصل في الأمر الوجوب، والله تعالى يحمد على كمال صفاته وأفعاله، وهنا الحمد {قل الحمد لله} على الأمرين جميعا، ليس على أفعاله فقط، ومن جملة ما يحمد عليه أنه أهلك هؤلاء المنذرين الذين كذبوا الرسول، ولهذا تخصيص المفسر بقوله: [على هلاك الكفار]، تقدم التثنية عليه وأن هذا تخصيص للآية، والله تعالى يقول: {قل الحمد لله}، فيحمد الله تعالى على كمال صفاته وأفعاله، وحمده واجب شرعا وعقلا، لأن العقل يقتضي أن يوصف الله سبحانه وتعالى بالكمال.



فوائد مستتبطة من تفسير سورة النمل

{قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى الله خير أما يشركون} النمل: ٥٩

أن إهلاك الله للأمم المستحقين صفة كمال ينبغي أن يحمد عليها، ولا يعذب الله إلا مستحقا، فعلى هذا إذا أصيب هؤلاء الكفار بالكوارث من الزلازل والفيضانات والأوبئة فما موقفنا نحن من ذلك، هل نترحم لهم ونأوي لهم؟ لا، لكن بعض الناس الجهال في وقتنا هذا تجدهم يتأوهون لهم ويتوجعون لهم ويعطفون عليهم ويرحمونهم، وهذا خلاف العقل وخلاف النقل، بل إننا إذا أوقع الله بهم ما يوقع من عقوباته فإننا نقول: الحمد لله، نحمد الله على ذلك؛ لأن إهلاكهم مصلحة للإسلام والمسلمين، ما من فرد يزيد في الكفار إلا ويزدادون به قوة على المسلمين.



فوائد مستتبطة من تفسير سورة النمل

{قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى الله خير أما يشركون} النمل: ٥٩

أن من قام بما يجب عليه من الاجتهاد فأخطأ فلا إثم عليه؛ لقوله: {وسلام على عباده الذين اصطفى} فإذا اجتهد الإنسان في طلب الحق وتحري الحق وأخطأ فلا إثم عليه في هذا الخطأ؛ لأنه ما دام متحريراً للحق وطالبا له وفاعلا لأسبابه فهو من العباد المصطفين، فإذا حصل عليه خلل فهو سالم مما يكون بهذا الخطأ، وهذا يشهد له قول الرسول - صلى الله عليه وسلم -: "إذا اجتهد الحاكم فأخطأ فله أجر، وإذا حكم فأصاب فله أجران"



فوائد مستتبطة من تفسير سورة النمل

{أمن خلق السماوات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة
ما كان لكم أن تنبتوا شجرها إليه مع الله بل هم قوم يعدلون} النمل: ٦٠

بيان حكمة الله تعالى في إنزال المطر من فوق؛ لقوله: {وأنزل لكم من السماء} لأن نزوله من السماء أعم وأقل ضرراً؛ إذ لو كان يخرج من الأرض ما وصل إلى قمم الجبال إلا وقد أغرق ما تحته، فلهذا صار ينزل من فوق ليكون أكمل وأعم وأقل ضرراً.



فوائد مستتبطة من تفسير سورة النمل

{أمن خلق السماوات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة
ما كان لكم أن تنبتوا شجرها إليه مع الله بل هم قوم يعدلون} النمل: ٦٠

أن الأشياء ينبغي أن تضاف إلى المسبب لا إلى السبب؛ لقوله: {فأنبتنا به حدائق ذات بهجة} فأضاف الإنبات إلى الله، مع أن النبات يحصل بالمطر، ولكن المنزل هو الله، ولهذا ينبغي للإنسان أن يضيف الشيء إلى المسبب الخالق مشيراً إلى السبب، كما يقول العلماء عن الرسول عليه الصلاة والسلام: هدى الله به من الضلالة، وأنقذ به من الهلاك، وبصر به من العمى، وما أشبه ذلك، فإضافة الشيء إلى المسبب للإشارة إلى بيان السبب.



فوائد مستتبطة من تفسير سورة النمل

{أمن خلق السماوات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة
ما كان لكم أن تنبتوا شجرها إليه مع الله بل هم قوم يعدلون} النمل: ٦٠

إثبات الحكمة؛ لأن الله سبحانه وتعالى ربط الأسباب بمسبباتها،
وهذا من الحكمة ألا تأتي الأمور على وجه المصادفات أو بدون أسباب تقتضيها،
فإثبات الأسباب يتضمن إثبات الحكمة.



فوائد مستتبطة من تفسير سورة النمل

{أمن خلق السماوات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة
ما كان لكم أن تنبتوا شجرها إليه مع الله بل هم قوم يعدلون} النمل: ٦٠

إن قوله تعالى: {ذات بهجة} في سياق الامتتان، يدل على أنه لا مانع أن الإنسان يرتاد هذه الحدائق
لأجل أن يبتهج بها، لكن بشرط ألا تشغله عن ذكر الله وطاعته
وعما هو أهم من ذلك.



فوائد مستتبطة من تفسير سورة النمل

{أمن خلق السماوات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبئنا به حدائق ذات بهجة
ما كان لكم أن تنبتوا شجرها إليه مع الله بل هم قوم يعدلون} النمل: ٦٠

إقامة الحجّة على سفة هؤلاء المشركين؛ لقوله: {بل هم قوم يعدلون} أي: يعدلون بالله غيره،
وليس المراد العدل الذي هو ضد الظلم، إذا كان هذا هو المراد لكان هؤلاء ممدوحين بما هم عليه،
ولكن المراد يعدلون بالله غيره، ويجعلونه عديلا لله سبحانه وتعالى ومساويا له



فوائد مستتبطة من تفسير سورة النمل

{أمن جعل الأرض قرارا وجعل خلالها أنهارا وجعل لها رواسي
وجعل بين البحرين حاجزا أإله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون} النمل: ٦١

بيان نعمة الله تعالى بجعل الأرض قرارا لأهلها، واستدل بها بعضهم على أن الأرض تدور؛ لأن كونها قرارا مع عدم الدوران لا يتبين فيه تمام القدرة والنعمة، وإنما يتبين ذلك فيما إذا كانت دائرة، وهذه الفائدة يناقش فيها وغير مسلمة؛ لأننا نقول: لا يلزم من الميدان الدوران، وحقيقة أنها لولا أن الله جعلها قرارا لكانت تميد بأهلها، وأما أنه يلزم أن تكون تدور فهذا ليس بلازم.



فوائد مستتبطة من تفسير سورة النمل

{أمن جعل الأرض قرارا وجعل خلالها أنهارا وجعل لها رواسي
وجعل بين البحرين حاجزا إله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون} النمل: ٦١

ما أنعم الله به في هذه الرواسي التي هي الجبال التي هي راسية بنفسها مرسية للأرض أيضا {وجعل فيها رواسي وأنهارا} [الرعد: ٣]، وفي سورة فصلت قال: {رواسي من فوقها} [فصلت: ١٠].

قال أهل العلم البيولوجيون: إن كون هذه الرواسي - أي كون الجبال المرسية للأرض - من فوقها دون أن تكون من أسفل - أي: في باطن الأرض - فيه فوائد كثيرة وعظيمة؛ فوائد للطقس وفوائد للنبات وفوائد للمعادن، إلى غير ذلك مما هو معلوم عند أهل العلم بذلك، يقولون: وأنت إذا نظرت إلى سلاسل الجبال التي على البحار عرفت بها قدر هذه النعمة العظيمة، لا سيما ما يأتي من الجهات الباردة، حيث هذه الرواسي تصد تلك الرياح الباردة التي تضر.



فوائد مستتبطة من تفسير سورة النمل

{وجعل بين البحرين حاجزا إله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون} النمل: ٦١

أن أكثر الخلق لا يعلمون ما في هذه الآيات من العبر، ثم إن نفي العلم كما تقدم قد يكون نفيًا لأصله وقد يكون نفيًا لثمرته وفائدته، والأمر كله واقع، فمن الناس من ليس عنده علم أصلا ولا يفكر في هذه الآيات، ويرى أنها ظواهر طبيعية، وليس لله تعالى فيها أي شأن، ومنهم من يعلم ولكن لا ينتفع.



فوائد مستتبطة من تفسير سورة النمل

{أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع الله قليلا ما تذكرون} النمل: ٦٢

أن الله تبارك وتعالى يجيب دعوة المضطر؛ لقوله: {أمن يجيب المضطر إذا دعاه}، وهذا دليل على أن رحمة الله سبقت غضبه، وأنه من كمال رحمته إذا علم بهذا المضطر أزال ضرورته على أي حال.



فوائد مستتبطة من تفسير سورة النمل

{أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع الله قليلا ما تذكرون} النمل: ٦٢

ينبغي إقامة الحجة على الخصم بما يعترف به؛ لأن إجابة المضطر يقربها هؤلاء المكذبون؛ هم إذا ركبوا في الفلك وأصابتهم الضراء والأمواج دعوا الله مخلصين له الدين، فأجاب دعاءهم، مع أنه يعلم أنهم سيشركون إذا خرجوا، وأن إيمانهم هذا إيمان ضرورة فقط، فهم عند الضرورة ما يدعون إلا الله، فإذا كنتم تعرفون أنكم لا تدعون إلا الله عند الضرورة فكيف تعبدون غيره عند السعة.



فوائد مستتبطة من تفسير سورة النمل

{أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع الله قليلا ما تذكرون} النمل: ٦٢

شمول رحمة الله سبحانه وتعالى بكشف السوء، سواء دعا لذلك أم لم يدع؛ لقوله:

{ويكشف السوء}

وكم من سوء كشفه الله تبارك وتعالى عن خلقه بدعاء وبغير دعاء،

وبضرورة وبغير ضرورة، ولا يكشفه إلا الله.



{أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع الله قليلا ما تذكرون} النمل: ٦٢

أن إجابة المضطر المتحتمة مشروطة بما إذا دعاه؛ لقوله: {أمن يجيب المضطر إذا دعاه}،
وأما إذا لم يدعه فقد يزيل ضرورته وقد لا يزيلها؛
لأن المضطر قد لا يدعو الله تعالى استغناء بما عنده من الأمور المادية عن دعاء الله تعالى،
فيستكف عن دعائه، وحينئذ لا تكشف ضرورته.
فالمهم أن إجابة المضطر هنا اشترط الله تعالى لها أن يكون المضطر داعيا،
فقال: {إذا دعاه}.

{أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع الله قليلا ما تذكرون} النمل: ٦٢

يجب على المرء أن لا يلتفت في كشف السوء إلا إلى الله؛ لأنه لا يكشف السوء إلا الله سبحانه وتعالى، فعلى هذا يجب عليك أن لا تعلق هذا الأمر إلا بربك الذي هو قادر على كشفه، وتعلقك بغيره خذلان لك، فـ "من تعلق شيئا وكل إليه" ولكن هذا الكلام لا ينافي فعل الأسباب؛ لأن فاعل الأسباب إن كان يعتقد أن السبب وحده هو الفاعل بذاته فإنه ينافي ما ذكرنا، وإن كان يعتقد أن السبب هو الفاعل ولكن بتقدير الله فهذا من التعلق بالله سبحانه وتعالى؛ لأنه لا ينافي إذا توكلت عليه واعتمدت عليه أن تفعل من الأسباب ما جعله الله سببا، فالإنسان يرجو من الله تعالى دخول الجنة والنجاة من النار، ومع هذا يفعل أسبابه؛ يرجو من الله تعالى الأولاد ومع ذلك يسعى بالأسباب.



فوائد مستتبطة من تفسير سورة النمل

{أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع الله قليلا ما تذكرون} النمل: ٦٢

مهما كثرت القرائن والبراهين فإن من الناس من لا يتعظ بها؛ لقوله: {قليلا ما تذكرون}، وإن من المتعظين أيضا من قد يكون اتعاضه قليلا؛ لأن قوله: {قليلا ما تذكرون} يتضمن التذكر من واحد والتذكر من جماعة، فـ {قليلا ما تذكرون} يعني أن الواحد منا قد يتذكر لكن قليلا إلا من عصم الله سبحانه وتعالى، وكذلك أيضا الفئات من الناس لا يتذكر منهم إلا القليل.



فوائد مستتبطة من تفسير سورة النمل

{أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته أله مع الله تعالى الله عما يشركون} النمل: ٦٣

بيان نعمة الله سبحانه وتعالى على الخلق بالهداية في ظلمات البر والبحر والجو؛ لأنه على قاعدة الفقهاء الهواء تابع للقرار، إن كنت على البحر فهو من البحر، وإن كنت على البر فهو من ظلمات البر، ففيه منة الله على عباده بالهداية في ظلمات البر والبحر، وهذه الهداية بعلامات وبالهام؛ بكلا الأمرين، فقد تكون بالعلامات وهو الأكثر، وقد تكون بالإلهام، قال تعالى: {ولما توجه تلقاء مدين قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل} [القصص: ٢٢]. وكان عليه الصلاة والسلام لا يعرف شيئاً، فهداه الله سبحانه وتعالى، ولهذا بعض العلماء يستعمل هذه الآية إذا ضاع في البر أو في البلد إذا كان يبحث عن بيت شخص ولم يهتد إليه، فيتلو هذه الآية: {عسى ربي أن يهديني سواء السبيل} [القصص: ٢٢]، وهو دعاء مناسب.



فوائد مستتبطة من تفسير سورة النمل

{أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته أله مع الله تعالى الله عما يشركون} النمل: ٦٣

يجب على الإنسان أن يعتمد على الله في الهداية إلى الطريق الحسي،
كما يعتمد عليه في الهداية إلى الطريق المعنوي،
فكما أنك تقول: (رب اغفر لي وارحمني واهدني) تريد الهداية المعنوية،
كذلك أيضا اعتمد على ربك في الهداية الحسية. ولا تعتمد أيضا على الأسباب؛
لأنه كم من أناس أهل معرفة وجود بالدلائل ومع ذلك لا يهتدون.



فوائد مستتبطة من تفسير سورة النمل

{أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته أله مع الله تعالى عما يشركون} النمل: ٦٣

أن الشيء الواحد قد يكون خيرا وقد يكون شرا، بحسب آثاره ونتائجه، فالرياح هنا يقول: {بشرا بين يدي رحمته} وعلى عاد ونحوهم عذاب {إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم} [الذاريات: ٤١]، والكل من فعله تبارك وتعالى، هنا {يرسل الرياح} [النمل: ٦٣]، وهناك {أرسلنا عليهم} [الذاريات: ٤١]، فالكل من فعله.

وحينئذ يرد علينا إشكال: هل الله تعالى يفعل السوء؟

السوء في المفعول، وأما بالنسبة لفعل الله فإنه ليس بسوء؛ لأنه صادر عن حكمة



فوائد مستتبطة من تفسير سورة النمل

{أمن يبدأ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض إله مع الله قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين} النمل: ٦٤

في الآية دليل على أنه في مقام المناظرة ينبغي للإنسان أن يطالب الخصم بالدليل؛ لأن في ذلك فائدتين:

الفائدة الأولى: إظهار العدل والإنصاف: هات دليلاً نتبعك، فهذا عدل وإنصاف.

الفائدة الثانية: منع استتصار الخصم؛ لأن الخصم إذا ما طلب منه الدليل وقلت: أبدا لا نقبل منك سواء أتيت بدليل أو لا لم تأت بدليل، فحينئذ يستتصر ويقول: الآن غلبته.



فوائد مستنبطة من تفسير سورة النمل

{قل لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله وما يشعرون أيان يبعثون} النمل: ٦٥

لا يعلم أحد الغيب إلا الله، فالذي في المستقبل لا يعلمه أحد إلا الله بكل حال، والحاضر أو الماضي قد يعلم، ودعوى علمه ليست من علم الغيب. وعلى هذا فالذين يحيرون ويخبرون عما جرى على العبد فهؤلاء ليسوا ممن يدعون علم الغيب؛ لأنه إما ماضٍ أو حاضر وهو معلوم، لكن قد يكون غائباً عن البشر شاهداً للجن؛ لأن الجن يعلمون الشيء البعيد ويخبرون من يصحبهم من الإنس.



فوائد مستتبطة من تفسير سورة النمل

{بل ادارك علمهم في الآخرة بل هم في شك منها بل هم منها عمون} النمل: ٦٦

أن هؤلاء المكذبين بيوم القيامة على مراتب.

وقد رأيت كلاما للزمخشري جيدا في هذه الآيات

ففي قوله: {بل ادارك علمهم في الآخرة} ذكر أن المعنى أنه بلغ علمهم بالآخرة غايته وأعلموا بها ولم ينتفعوا، وذكر أن {ادارك} من (الدرك) وهو الهلاك، يعني أنه ضعف علمهم في الآخرة، ثم انتقل فقال: {بل هم في شك منها}، ثم انتقل فقال: {بل هم منها عمون}.

فيكون بالإضافة إلى قوله: {وما يشعرون أيان يبعثون} المراتب أربعة: أولا: نفي الشعور، ثم ضعف العلم، ثم الشك، ثم العمى. فتكون هذه الآية فيها إضرابات؛ انتقال من الأدنى إلى الأعلى



فوائد مستتبطة من تفسير سورة النمل

{بل ادارك علمهم في الآخرة بل هم في شك منها بل هم منها عمون} النمل: ٦٦

أن الإنسان الذي لا يريد الحق يكون له باعتبار قبوله مراتب بعضها أشد من بعض،
أي أنه ينتقل من الأدنى إلى الأعلى، ولهذا قال أهل العلم:
إن المعاصي بريد الكفر، ومعنى بريد الكفر أنه ينتقل بها الإنسان من مرحلة إلى مرحلة كما ينتقل البريد



فوائد مستتبطة من تفسير سورة النمل

{وقال الذين كفروا إذا كنا ترابا وأبأؤنا أننا لمخرجون} النمل: ٦٧

تلبس أهل الضلال للحق بالباطل؛ لأنهم أنكروا البعث واحتجوا بشبهة لا تغنيهم من الحق شيئاً، حيث يقولون: {إذا كنا ترابا} نخرج، فهذه الشبهة إنما تتطلي على الجهال، أما على أهل العلم والبصيرة فلا تتطلي. المهم أن نأخذ من هذه الآية أو من هذا السلوك بيان أن أهل الباطل يلبسون باطلهم بالشبهات التي يوردونها.



فوائد مستنبطة من تفسير سورة النمل

{لقد وعدنا هذا نحن وأباؤنا من قبل إن هذا إلا أساطير الأولين} النمل: ٦٨

أن من لا يريد الحق فإنه لا يتبين له، فالإنسان الذي لا يريد الحق يحرم منه فلا يتبين له، لقولهم: {إلا أساطير الأولين} [النمل: ٦٨]، فجعلوا أبين الأمور وأصح الأمور وأؤكد الأمور جعلوه أساطير، والأساطير كما هو معروف هي عبارة عن كلام لا أصل له غالبها أكاذيب، فهذا القول تقدم لنا في التفسير أنه إن كان عن عقيدة فقد لبس عليهم الحق، وإن كان عن إنكار فقد جمعوا بين التكذيب بالحق وبين عيب الحق، يعني جمعوا بين أمرين: أنهم كذبوا وعابوه، وأما إذا كان هذا عن عقيدة بمعنى أنهم لا يرون أن هذا حقيقة وأنه أساطير فيكون هنا قد لبس عليهم الحق بسبب أنهم لا يريدونه، ولا شك أن من لا يريد الحق فإنه لا يوفق له ولا يبسر له.



فوائد مستتبطة من تفسير سورة النمل

{قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين} النمل: ٦٩

أن السائر في الأرض يجب عليه أن يكون سيره على سبيل التفكير والاعتاظ؛ لقوله: {فانظروا كيف} والأمر للوجوب، لا سيما إذا كان هذا المخاطب معاندا؛ لأن الآية هنا {قل سيروا في الأرض} يخاطب المعاندين الجاحدين، فإنه يجب عليه أن يسير وينظر؛ لأن هذا طريق إلى هدايته.



{ولا تحزن عليهم ولا تكن في ضيق مما يمكرون} النمل: ٧٠

أن الداعي إلى الله إذا بذل ما يجب عليه فلا ينبغي أن يحزن لمخالفة الناس؛ لقوله: {ولا تحزن عليهم}، والحكمة من ذلك: أن حزن الإنسان على مخالفة الناس يعيقه عن الدعوة إلى الله، ويستحسر من أجلهم؛ لأنه لا يمكن للنفس أن تمتد وتسير وهي حزينة، ولكن أنت سر على حسب ما أمرت؛ إن اهتدى الناس فلك ولهم، وإن لم يهتدوا فلك وعليهم، ولهذا إذا حزن الإنسان في هذه الأمور فإنه ييأس ويستحسر ولا ينشرح صدره ولا تتبسط نفسه.

{ولا تحزن عليهم ولا تكن في ضيق مما يمكرون} النمل: ٧٠

عناية الله تعالى بالرسول - صلى الله عليه وسلم - بالتسليية والتفريغ عنه؛ لقوله: {ولا تكن في ضيق مما يمكرون} وجه ذلك: أن نهيه عن أن يكون في ضيق معناه أن مكرهم لا يضره، وإن ضاقت به نفسه فإن ذلك لا يضره؛ لأن الله يقول: {ولا تكن في ضيق} أي لا يهملك أمرهم ولا تضق منه، فإن لدينا ما هو أعظم، قال تعالى: {ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين} [الأنفال: ٣٠]



فوائد مستتبطة من تفسير سورة النمل

{قل عسى أن يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون} النمل: ٧٢

أن البلاء موكل بالمنطق، وأن الإنسان إذا استعجل الشر وقع فيه؛
لقوله: {عسى أن يكون}، وعسى - كما قال ابن عباس - إذا جاءت في كلام الله فهي للوجوب لأن معناها التوقع،
وأن هذا أمر قد حان وقته؛ إذ إن الترجي بالنسبة إلى الله غير ممكن؛
لأن الترجي طلب ما فيه عسر،
ولا شيء عسير على الله عز وجل.



فوائد مستتبطة من تفسير سورة النمل

{وإن ربك ليعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون} النمل: ٧٤

أن علم الله تعالى بما بطن كعلمه بما ظهر؛ لقوله: {ما تكن} و {وما يعلنون} فلا فرق بين هذا وهذا عند الله، وإن كان المخلوق يختلف عنده حكم الغائب والظاهر، فالغائب لا يعلمه المخلوق، والظاهر يعلمه، وحتى لو علم الغائب بطريق من الطرق فإنه لا يستوي مع علم الظاهر أما الله سبحانه وتعالى فإنهما عنده سواء.



فوائد مستتبطة من تفسير سورة النمل

{وما من غائبة في السماء والأرض إلا في كتاب مبين} النمل: ٧٥

كتابة الله تعالى كل شيء في اللوح المحفوظ؛ لقوله:
{وما من غائبة في السماء والأرض إلا في كتاب مبين}
ويلزم من الكتابة العلم؛ لأنه لا يكتب المجهول.

فإذن نقول: زيادة على أن الله علم ذلك قد كتبه في اللوح المحفوظ.



{إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون} النمل: ٧٦

ينبغي أن يعتنى بما هو أهم أو بما هو مهم، ويترك ما لا فائدة منه؛ لقوله: {أكثر الذي هم فيه يختلفون} ولم يقص عليهم جميع ما يختلفون فيه؛ لأن مما اختلفوا فيه ما لا فائدة من ذكره، أو ما لا داعي لذكره. وهذه مسألة ينبغي للإنسان أن يعتني بها، بأن يقتصر على المهم أو الأهم، وأن يدع ما لا فائدة منه؛ لأنه إضاعة للوقت وتطويل للكلام بلا فائدة، ومن ذلك ما يوجد في كثير من التفاسير؛ يذكرون الخلاف في أمور هي في الحقيقة واحدة



{إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون} النمل: ٧٦

الإشارة إلى الخلاف بين بني إسرائيل؛ لقوله: {أكثر الذي هم فيه يختلفون} والاختلاف شر وليس رحمة، وأما (اختلاف أمتي رحمة) فموضوع لا يصح؛ لأن الله يقول: {ولا يزالون مختلفين (١١٨) إلا من رحم ربك} [هود: ١١٨، ١١٩]، لكن لو صح هذا الحديث مثلاً، أو قاله بعض أهل العلم من قوله، فالمعنى: أن هذا الاختلاف داخل في رحمة الله وفي سعته بالنسبة للمختلفين، أي أنهم لا يعذبون.

وليس المعنى أن إيقاع الخلاف بينهم من رحمة الله، بل هو من حكمة الله، ولكن رحمة الله وسعتهم، فلا يقال مثلاً: إنهم معذبون بهذا الخلاف، أو إن الواحد المصيب منهم له أجر، والباقيين محرومون، أو ما أشبه ذلك.



فوائد مستتبطة من تفسير سورة النمل

{وإنه لهدى ورحمة للمؤمنين} النمل: ٧٧

كلما كان الإنسان أقوى إيماناً؛ كان أقوى اهتداءً بالقرآن.
وهذا مأخوذ من قاعدة، وهي أن الحكم إذا علق بوصف قوي ذلك الحكم بقوة ذلك الوصف،
وضعف بضعف ذلك الوصف، فما دامت الهداية والرحمة معلقة بوصف الإيمان
فكلما ازداد هذا الوصف ازداد الهدى وازدادت الرحمة.



فوائد مستنبطة من تفسير سورة النمل

{إن ربك يقضي بينهم بحكمه وهو العزيز العليم} النمل: ٧٨

أن هذا الحكم يتضمن الحكم الشرعي والحكم الجزائي،
فيقضي بينهم بحكمه شرعا في الدنيا،
وبجزائه عدلا في الآخرة، لقوله: {يقضي بينهم بحكمه}



فوائد مستتبطة من تفسير سورة النمل

{إن ربك يقضي بينهم بحكمه وهو العزيز العليم} النمل: ٧٨

قرن العزة مع العلم في هذا الموضع يستفاد منه فائدة مستقلة غير فائدة العزة على حدة والعلم على حدة، يعني يستفاد من جمعهما فائدة مكونة منهما، وهي: أن حكم الله سبحانه وتعالى لا بد أن ينفذ، لقوله: {وهو العزيز}، ولا بد أن يكون مطابقا وصحيحا، لقوله: {العزيز} لأننا قلنا فيما سبق: إن من تمام الحكم العلم والعزة، فالعلم ليحكم بالصواب، والعزة لينفذ ما حكم به، وإن خلل الحكم يأتي إما من الجهل وإما من الضعف؛ إما لجهل الحاكم فيحكم بغير الصواب، وإما لضعفه فلا يستطيع أن ينفذ.

إذن: يؤخذ من جمع هذين الوصفين لله سبحانه وتعالى عقب ذكر الحكم: تمام حكم الله، حيث كان مبنيا على العزة والعلم، فبالعزة يكون التنفيذ، وبالعلم يكون الصواب.



{فتوكل على الله إنك على الحق المبين} النمل: ٧٩

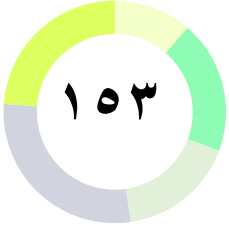
بالتوكل على الله سبحانه وتعالى تتيسر الأمور؛ لأن الرسول - صلى الله عليه وسلم - يكابد من عناد بني إسرائيل وغيرهم، فأمر الله بالتوكل عليه، لأن الله ذكر فائدة التوكل في قوله: {ومن يتوكل على الله فهو حسبه} [الطلاق: ٣]، فبالاعتماد على الله تتيسر الأمور، وباعتماد الإنسان على نفسه يحصل الخذلان.



فوائد مستتبطة من تفسير سورة النمل

{فتوكل على الله إنك على الحق المبين} النمل: ٧٩

فضيلة النبي - صلى الله عليه وسلم - حيث كان مسلكه الحق المبين؛ لقوله:
{إنك على الحق المبين} فهذا فيه شهادة من الله وتزكية للرسول عليه الصلاة والسلام،
وهو يتضمن فضيلة الرسول - صلى الله عليه وسلم -؛
لأن الشهادة من الله أنه على الحق المبين.



{فتوكل على الله إنك على الحق المبين} النمل: ٧٩

أن كل ما خالف ما كان عليه الرسول عليه الصلاة والسلام فهو باطل؛ لأننا لو قلنا: إنه حق للزم الجمع بين النقيضين، فلا يمكن أن يكون ما كان عليه الرسول حقا وهذا حق، فلا يمكن وهو يخالفه؛ إذ هذا جمع بين النقيضين، فلا يمكن أن يكون الشيطان المتناقضان كل منهما حق، فلا بد أن أحدهما هو الحق، ولهذا يقول الله - عز وجل - : {فماذا بعد الحق إلا الضلال} [يونس: ٣٢]؛ ويقول تعالى: {وإنا أو إياكم} [سبأ: ٢٤]، إحداهما {لعلى هدى أو في ضلال مبين} [سبأ: ٢٤]، وبهذا نعرف أن جميع ما خالف ما كان عليه الرسول عليه الصلاة والسلام فهو باطل، وهو في النار كما قال الرسول - صلى الله عليه وسلم - : "كلها في النار إلا واحدة".

فإن كانت المخالفة تامة فهو باطل كله، وإن كانت المخالفة جزئية كان فيه من الباطل بقدر ما خالف ما كان عليه الرسول - صلى الله عليه وسلم - .



{فتوكل على الله إنك على الحق المبين} النمل: ٧٩

أن بيان الحق لا يلزم منه أن يكون بينا لكل أحد، فإن الخفافيش تعمى بضياء النهار، فلا يلزم من كون الرسول عليه الصلاة والسلام على الحق المبين أن لا يعرض عنه أحد، ولهذا أعقبه بقوله: {إنك لا تسمع الموتى} يعني لا تظن أن هؤلاء الذين أعرضوا أعرضوا لأنك على باطل، بل لعدم قابلية المحل، وكما هو معروف أن الشيء وإن كان تاما إذا لم يجد محلا قابلا لم يكن له تأثير



فوائد مستنبطة من تفسير سورة النمل

{إنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين} النمل: ٨٠

أن الميت لا يسمع، والمراد بالميت هنا ميت القلب، أو الموتى موتى الأجسام على سبيل التمثيل. فإذا كان ميت القلب فالأمر ظاهر أنه لا يسمع سماعاً ينتفع به، وإلا فهو يسمع سماع إدراك لكنه لا ينتفع به.

واستدل بهذه الآية من قال: إن الموتى في قبورهم لا يسمعون.



فوائد مستتبطة من تفسير سورة النمل

{إنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين} النمل: ٨٠

بيان شدة إعراض هؤلاء عن الحق؛ لأنهم صم مولون مدبرون، وهذا أبعد ما يكون عن السماع، فالأصم إذا كان مقبلاً إليك قد يفهم منك ما يفهمه من الإشارات والحركات فينتفع بذلك، ولو كان أصم لكن إذا ولى مع الإدبار -ولى ببدنه وأدبر بقلبه أو بالعكس- فإن ذلك يكون أشد استحالة في سماعه مما إذا كان أصم مع الإقبال.



فوائد مستتبطة من تفسير سورة النمل

{إنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين} النمل: ٨٠

أن الإنسان -والعياذ بالله- إذا ولى مدبراً عن الشرع فإنه قد يعاقب بالصمم عن سماع الحق، بحيث إنه لا ينتفع بموعظة ولا نصيحة، وهذا هو الغالب، فالغالب أن الإنسان إذا كان ليس عنده إقبال على الحق أن يحرم الحق، حتى لو تكلم الناس وفعلوا وأقاموا الأدلة ما انتفع بذلك



{وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون} النمل: ٨١

أن الرسول عليه الصلاة والسلام لا يملك هداية الخلق؛ لقوله: {وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم} ولا يعارض هذا قول الله تعالى: {وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم} [الشورى: ٥٢]، لأن الهداية المثبتة غير الهداية المنفية، الهداية المثبتة هداية الدلالة والعلم والبيان، فالرسول عليه الصلاة والسلام معلم ومبين ودال للخلق على الحق، وأما التوفيق لذلك فهو بيد الله.

فالجمع بين الهداية المثبتة للرسول - صلى الله عليه وسلم - والمنفية عنه أن نقول: ما أثبت للرسول فهو هداية العلم والبيان، وما نفي عنه فهو هداية التوفيق والعمل، فلا يستطيع هذا أبداً.



فوائد مستنبطة من تفسير سورة النمل

{وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون} النمل: ٨١

أن الإيمان يستلزم الإسلام؛ لقوله: {فهم مسلمون}، وهل الإسلام يستلزم الإيمان؟

لا يستلزمه، قد يكون الإنسان مسلماً وليس بمؤمن، ولهذا قيل عند الرسول عليه الصلاة والسلام عن رجل: إنه مؤمن. فقال: "أو مسلم" فدل ذلك على الفرق بين الإيمان وبين الإسلام.

وكثير من المسلمين الآن مسلمون، ولكن ليسوا بمؤمنين، وكثير من المسلمين مستسلمون وليسوا بمسلمين، فالمسلمون اليوم إما مستسلم أو مسلم أو مؤمن، أقلهم المؤمن بلا شك، والمسلم المستسلم كثير في البلاد التي هي غير بلادنا، فأكثرهم مسلم بمعنى مستسلم هوية فقط، ولهذا يأتي ناس من البلاد الأخرى ويقولون: لا نعرف أن نتوضأ ولا نعرف أن نصلي، ولا نعرف أوقات الصلاة، ومع ذلك مكتوب في الهوية: مسلم.



فوائد مستتبطة من تفسير سورة النمل

{وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون} النمل: ٨١

أن الآيات كثيرة ليست واحدة؛ لقوله: {بآياتنا}، وهي تنقسم إلى قسمين: آيات كونية وآيات شرعية. فما جاءت به الرسل ونزلت به الكتب فهو آيات شرعية، وما كان من الحوادث فهو من الآيات الكونية، قال الله تعالى: {ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر} [فصلت: ٣٧]، هذه الآيات الكونية، وقال تعالى: {وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا سحر مبين} [الأحقاف: ٧]، هذه الآيات الشرعية.



فوائد مستتبطة من تفسير سورة النمل

{وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون} النمل: ٨٢

خروج الدابة إذا وقع القول على الناس، وذلك بأن كفروا وأعرضوا عن دين الله سبحانه وتعالى، فأخرج الله لهم هذه الدابة.

وأن هذه الدابة التي ذكر الله مبهمة، فلا يعلم صفتها ولا كيف تخرج ولا من أين تخرج، وما ذكر من الآثار في ذلك فكلها ضعيفة لا يعول عليها، وحسبنا أن نؤمن بما ذكر الله تعالى مطلقاً.



فوائد مستتبطة من تفسير سورة النمل

{وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون} النمل: ٨٢

أن عدم اليقين بآيات الله سبحانه وتعالى سبب للهلاك،
وأنه لا يكفي التردد أو الإيمان الضعيف،
بل لا بد من إيقان،
فالمتردد بما يجب الإيمان به



فوائد مستتبطة من تفسير سورة النمل

{ويوم نحشر من كل أمة فوجا ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون (٨٣)
حتى إذا جاءوا قال أكذبتكم بآياتي ولم تحيطوا بها علما أماذا كنتم تعملون} النمل: ٨٣-٨٤

إن الله سبحانه وتعالى يحشر من الأمم أفوجا معينة يكونون أمة لباقيهم؛ لقوله:
{نحشر من كل أمة فوجا} ليس كل الأمم، بل فوج، وهؤلاء الفوج هم أشدهم على الرحمن عتيا،
قال تعالى: {ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا} [مريم: ٦٩]،
لأجل - والعياذ بالله - أن يخزوا خزيا أعظم، لأنهم قادة في الدنيا فيكونون قادة إلى النار في الآخرة،
قال تعالى: {يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار} [هود: ٩٨].



فوائد مستتبطة من تفسير سورة النمل

{ويوم نحشر من كل أمة فوجا ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون (٨٣)
حتى إذا جاءوا قال أكذبتكم بآياتي ولم تحيطوا بها علما أماذا كنتم تعملون} النمل: ٨٣-٨٤

عظم الإمامة في السوء كما أنها أيضا عظيمة في الخير،
فالإمامة في الخير له أجر من اتبعه، والإمامة في الشر عليه وزر من اتبعه،
فالإمامة في الخير أو في الشر هي أمر عظيم،
وخير الناس من دلهم إلى الخير، وشر الناس من دلهم على الشر



فوائد مستتبطة من تفسير سورة النمل

{ووقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون} النمل: ٨٥

أن للناس في يوم القيامة أحوالا ، فهم أحوال مختلفة؛ لقوله: {فهم لا ينطقون} لأن الله ذكر في بعض الآيات أنهم ينطقون ويدافعون، يقولون: {والله ربنا ما كنا مشركين} [الأنعام: ٢٣] ، ويقول تعالى: {يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض ولا يكتمون الله حديثا} [النساء: ٤٢] ، فأنت الآن لا يمكن أن تجمع بين هذه الآيات إلا إذا قلت: إن الناس لهم أحوال، حال يمكنه الكلام، وحال لا يمكنه فيه الكلام، وبهذا يتألف القرآن وهو مؤتلف.



فوائد مستنبطة من تفسير سورة النمل

{ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون} النمل: ٨٦

بيان فضل الله تعالى في جعل الليل والنهار على هذا الوصف، ظلام للسكنى وإبصار للعمل، لو كان الدهر كله ظلاما ما عمل الناس، ولو قدر أنهم رتبوا أعمالهم لاختلفوا، وكذلك لو كان نهارا ما سكن الناس، ولو قدر أنهم رتبوا أوقاتهم وجعلوا مثلا نصف الوقت سكنا ونصف الوقت عملا لم يتفوقوا فيه، ولكن من رحمة الله سبحانه وتعالى انه جعل الليل والنهار ليسكن الناس جميعا ويرتعو من فضله جميعا.



{ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله وكل أتوه داخرين} النمل: ٨٧

أنه لا يفزع جميع من في الأرض ومن في السماوات، بل يبقى من لا يفزع بمشيئة الله، لقوله: {إلا من شاء الله} وهذا المبهم في الآية الصحيح أنه ليس معلوما لنا، ولذلك أشكل على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هل كان موسى ممن صعق أو ممن استثنى الله، فدل هذا على أنه ليس معلوما للناس من هم المستثنون، وهذا يرجع إلى كمال ربوبية الله سبحانه وتعالى.



فوائد مستتبطة من تفسير سورة النمل

{وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي أتقن كل شيء إنه خبير بما تفعلون} النمل: ٨٨

قطع اعتراض كل معترض على ما يحدث في الكون من تدبيرات أو تشريعات،
ووجه ذلك: أن الله أتقنه، والله تبارك وتعالى أعلم وأحكم من عباده،
فأنت متى علمت هذا الشيء انقطع عنك كل اعتراض،
سواء سمعته من غيرك أو أوردته على نفسك.



{وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي أتقن كل شيء إنه خبير بما تفعلون} النمل: ٨٨

أن ما يتعلق بالهم المجرد فإنه لا يؤاخذ به العبد؛ لأن المقصود من قوله: {إنه خبير بما تفعلون} التحذير من هذا الفعل المخالف، فماذا قدر أنه هم مجرد، فإنه ليس بفعل، فلا يؤاخذ عليه العبد، وهذه الفائدة بعيدة في التصور ولكنها دلت عليها السنة، وأن مجرد الهم لا يؤاخذ به العبد حتى يفعل، إلا الهم بالحسنة فإنه يكتب للمرء، ولكنه لا يدخل في هذه الآية؛ لأن الآية سيقنت للتحذير، والهم بالحسنة يرغب فيه ولا يحذر منه، فالهم بالسيئة لا يعاقب عليه العبد، والهم بالحسنة يثاب عليه العبد، ومقتضى العدل أن يعاقب على السيئة وأن يثاب على الحسنة، أو أن لا يعاقب على السيئة ولا يثاب على الحسنة، ولكن رحمة الله تعالى اقتضت الفضل دون العدل، فصار الهم بالسيئة ليس فيه شيء، والهم بالحسنة فيه ثواب



فوائد مستتبطة من تفسير سورة النمل

{من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون} النمل: ٨٩

كيف يؤتى بالحسنات وهي أعمال مضت، والأعمال معان وليست أجساما؟

فيقال: إن الله تبارك وتعالى على كل شيء قدير، يقبل هذه المعاني إلى أجسام،

مثلما قلب الموت وهو معنى إلى جسم، وهو الكبش

فإن الله تعالى على كل شيء قدير. قال النبي عليه الصلاة والسلام لأصحابه: "من تعدون المفلس فيكم؟". قالوا: من لا درهم

عنده ولا متاع. فقال: "المفلس من يأتي يوم القيامة بحسنات أمثال الجبال"



فوائد مستتبطة من تفسير سورة النمل

{ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار هل تجزون إلا ما كنتم تعملون} النمل: ٩٠

بيان شدة العقوبة -والعياذ بالله- لهؤلاء، حيث يكبون على وجوههم في النار، والوجه أشرف الأعضاء، وإهانتة أعظم من إهانة غيره، فلو أن أحدا صفعك على خدك أو ضربك في رجلك أيهما أشد إهانة؟

الوجه أشد، ولهذا كان إكبابهم على وجوههم في النار -والعياذ بالله- أشد وأبلغ في الإهانة وفي العذاب.



فوائد مستتبطة من تفسير سورة النمل

{إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرّمها وله كل شيء وأمرت أن أكون من المسلمين} النمل: ٩١

فضيلة مكة من وجهين: من إضافة الربوبية إليها {رب هذه البلدة} ومن كونه تعالى حرّمها {الذي حرّمها} فضيه فضيلة مكة على سائر البلاد، ولها فضائل كثيرة، فلو لم يكن منها إلا أن قصدتها للعبادة من أركان الإسلام لكفى؛ فالحج ركن من أركان الإسلام، فليس هناك بلد في العالم يكون القصد إليه فرضاً أبداً ولا سنة إلا مكة والمدينة والمسجد الأقصى.



فوائد مستتبطة من تفسير سورة النمل

{إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرّمها وله كل شيء وأمرت أن أكون من المسلمين} النمل: ٩١

لا يجوز لأحد أن يحكم بغير ما أنزل الله، لقوله: {وله كل شيء} لأن من جملة الأشياء: الحكم بين العباد، بل هو من أعظم الأشياء، فإذا كان ذلك لله فلا يجوز لأحد أن يستقل به، ومن أراد أن يستقل به فقد حاول أن يكون شريكا لله تعالى في ذلك، ونزل نفسه منزلة لا يستحقها.

إذن: أمر التحليل والتحريم والإيجاب إلى الله، لأن له كل شيء، وأمر التحسين والتقبيح الصواب أنها إلى الله؛ لأن بعض الأشياء لا نعرف عن حسنها وقبحها إلا من الله، لكن أيضا للعقل مجال في هذا، ولذلك {أتأمرون الناس بالبر وتتسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب} ما الذي بعدها {أفلا تعقلون} [البقرة: ٤٤]، فدل هذا على أن العقل يحسن ويقبح؛ فإن هذا من القبيح.

انتهى بحمد الله وفضله جمع بعض الفوائد
من تفسير سورة
(النمل)

نسأل الله تعالى أن يجعلها
نافعة لعباده مقربة لمرضاته
إنه وليّ ذلك والقادر عليه

تويتر
[@fwayidd1](https://twitter.com/fwayidd1)